اِعْتقَال عَاطِفي

obeikandl.com

obeikandl.com

اِعْتقَال عَاطِفي

مجموعة قصصية

نهى العمروسي

للنشر والتوزيع

obeikandl.com

obeikandl.com

مسموح بَيْع هذا الكتاب للنساء فوق سن اليأس العاطفي والغير محصنات بأمصال ضد المواجع، وأيضًا لذوي الحساسية المفرطة للخدع الموسمية؛ فلم تتجاوز جرعة حماقة قلمي جرعة الحنين المسموح بها دون أدنى آثار جانبية للمرضى المحملين بأشواقهم المجنونة أو خيباتهم المهزومة.

obeikandl.com

obeikandl.com

إهداء

لكل أنثى قررت أن تمحو آثار الطبشور..

ولا تزال تقف بأقدامٍ متماسكة على أسطح البنايات المتهالكة للذكريات الأليمة لخطية لاتملك سوى الدعاء بعدما أصبح الهروب واقعًا افتراضيًا.

obeikandl.com

obeikandl.com

صيغ كثيرة تتبارز أمامي، حيث لا مكان لمساحيق النساء أو أكاذيب الصغار لا مكان للخزانات القديمة أو الألوان الرمادية فليس من المنطق أن نميل للفاكهة المعطوبة أو الثياب البالية لأن مكانها هو القصاصات المهترئة في جيوب الأكفان لذا ترددت كثيرًا قبل أن أمتطي قلمي صوب الكلمات العارية، ذلك الرفيق المتكاسل الذي تحمَّل نزاعاتي وإخفاقاتي وأحيانًا حماقاتي دون تململ؛ مما أشعرني برغبة في التحليق فوق كل المطبات الهوائية لخساراتي كطائر مهاجر يخشى أن ينظر لأسفل فيختل توازنة فقط يحتفظ بموقعة داخل السرب خشية التفكك مادامت الحياة ترحال من مهجر إلى آخر.

نهى العمروسي

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

لحين إشعار آخر

obeikandl.com

على صوت أم كلثوم المنبعث من مذياع صغير تنشد معزوفتها الصباحية المعتادة، انتفضت بثينة فزعة إثر تأخُّرها عن موعد اسيتيقاظها. تحسست هاتفها الذي بات في غيبوبة على إثر جوعه لوجبة الشحن الكهربي اليومية، بينما تشير ساعة الحائط إلى تجاوز عقاربها الثامنة والنصف صباحًا. لم تمهل للكسل وقتًا إضافيًا للتفاوض، فقط اختلست المزيد من الدقائق بالكاد تكفي دشًا ساخنًا وغسل أسنانها بعد ساعات من إحكام الغلق عليها فتزيل رائحة الحبس الجماعي، التقطت لقيمات صغيرة من جبن منزوع الدسم وِفقًا لجدول الحمية وتجاهلت صفارة غليان السخان الكهربي غير آسفة على جرعة الكافيين المراقة في كوبها الحراري. ارتدت معطفًا سميكًا من المنك بناء على توجيهات والدتها بسوء توقعات هيئة الأرصاد الجوية ليقيها من تهور لسعات البرد في نوة الغطاس العاتية ثم انتعلت حذاءً أسود من الجلد الطبيعي يعزل قدميها عن تعاريج الأرض الغير مستوية بوحل طين البرك والمستنقعات. تهندمت وسحبت حقيبتها على عجل غافلة عن مظلة صغيرة ستقيها هجوم الأمطار.

اتجهت إلى الباب ملوحة لأمها بالوداع بقُبلة سريعة في الهواء. أثناء نزولها الدرج، ارتدت نظارة طبية لمنع تحرش الغبار بحدقة عينيها؛ فأصحاب الأعين الملونة يعانون دائمًا حساسية مفرطة. بالقرب من الباب الحديدي للبناية بجوار مقهى شعبي خالي من الجلبة يقع بمحاذاة الرصيف، اصطدمت بمجذوب حليق الرأس ذي بشرة ترابية اللون، عضده مبتور يرتدي جلبابًا رماديًا متسخًا مهترئًا لايستر جسده المشعر كالغوريلا، وتتدلى قدماه حافيتين متشققتين يترعرع بداخلهما

مستعمرات كاملة من كائنات دقيقة تتشاجر مع الأسفلت. باغتها بصوت أجش أخنف طالبًا نقودًا، فبادرته على الفور بكل ما في قبضة يدها من عملات معدنية خشية هياجه، وعلى الفور أشارت لسيارة أجرة لتقلها سريعًا إلى العمل؛ فلا مانع من مصاريف مواصلات إضافية مادامت لم تتجاوز منتصف الشهر والراتب لم يتبخر بعد. بداخل السيارة أرسلت برسالة نصية لإحدى زميلاتها لتقديم إذن شخصي يعفيها من جزاء التأخُّر، دلفت بفتح حقيبها لتخرج مرآة صغيرة لتتأكد من زينتها المنسقة بعجالة وتعيد تلوين شفاها دون انتباه من السائق. وبحيلة صبيانية تمتعت بتكثيف زفير أنفاسها على الزجاج لترسم بسبابتها قلبًا صغيرًا. عبر السائق النحيف خطوط قطبان القطار المتقاطعة مع الشارع الرئيسي دون أن يعير مجند المرور أدنى اهتمام. تلفَّظ بالسباب واللعنات بسبب رجرجة العربة إثر ارتطامها بمطبٍّ صناعي. بردِّ فعلٍ صامتٍ لايكترث للأمر برمّته، أسندت رأسها على الباب المجاور للكنبة الخلفية للعربة، تشتَّتَتْ نظراتها نحو السائرين، أناس تقليديين محبطين يتحركون كإنسان آلي مبرمج الأفعال، يتسللون إلى الحياة عبر الضجيج والزحام المتكدس بإشارات المرور، يتقاسمون وجوهًا شاحبة من قلة النوم، وأعين ذابلة من ثقل أحمال الشقاء والخيبات. مراهقين تتشابك أصابعهم، عجائز بمسحة حزن تلوّن ملامحهم، عُمَّال ورديات، موظفي هيئات حكوكية، أصحاب محال تجارية، باعة جائلين يروجون لمخبوزاتهم الساخنة وبضائعهم الصينية رديئة الصُنع ببحة صوتهم المزعجة، متعهدي توزيع صحف ومجلات، عُمَّال بناء يرقدون ببلاهة خالية من المبالاة، نشالين تكتمل حصيلة يومهم من جيوب المديونين، أطفال شوارع لقطاء بملابس مغبَّرة رثة هاربين من معتقل دور إيواء أكثر

قسوة من الأرصفة العارية يبيعون المناديل الورقية والأزهار، طلَّاب يلعبون الكرة بحصى حواري مشبعة بالمياة الراكدة وأكوام القمامة المتعفنة، أشخاص مترجلين مفلسين لايملكون ثمن تذكرة قطار، متسولين بهيئات متآكلة، مخبرين بسماجتهم المعهودة، مجرمين فارّين من التجنيد، مشبوهين بلا مأوى، غرباء متسكعين بلا هدف، قرويات بائسات بجلاليب واسعة مليئة بالأزهار وبقايا سنابل القمح تميّز ذقونهن أوشمة خضراء ينتعلن أحذية بلاستيكية بالية لاتحمي أقدامهن من سباخ الأرض المتخمر، يحملن أقصفاص طيور وجرار من الفخار تحوي (جبنًا قديمًا، عسلًا، فطيرًا، لبنًا رائبًا)، تقلهن عربات تنقل خضروات وفاكهة طازجة لا يحمل سائقوها غضاضة من روائح روث حيواناتها. شرائح مختلفة من البشر يهيمون بالمدينة كل صباح تفصلهم وجهات بطول المسافات بين المحطات. خمسة وأربعون دقيقة حتى وصلت «بثينة» لمكتبها. بادلت الابتسامات الخجولة وتحيات الإعجاب لكافة الزملاء، أدارت زِر تشغيل المكيف وأشارت بالسهم لأعلى لرفع درجة الحرارة وتدفئة الحجرة، طلبت قهوتها المحوجة، أعادت ترتيب أوراق أدراجها حتى انغمست كليًا بين ملفات القضايا ودوامات تنفيذ الأحكام والاستئناف وطلبات التأجيل.

ساعتان من التركيز بين سطور جريمة محكمة التعقيد وقلم انهال على ورقة بيضاء بخطوط سريالية كمحاولة لفك لغز الشفرات الغامضة للحيثيات. فجأة بنقر موسيقى تصويرية دقَّ هاتفها عدة مرات ليخرجها عنوة من عالم الجريمة، التفتت للهاتف بعد تكرار إلحاحة كمرابى يهودي لايكف عن المطاردة. ضغطت زر الاستقبال لتفاجأ بصوت والدتها

يداعبها باسمها المحبب (بوسي) لتخبرها إيجازًا بحتمية العودة للبيت مبكرًا لحضور موعد اندسَّ إجباريًا هذا المساء. أغلقت الهاتف بامتعاض؛ فليس من عادات والدتها التحرش بالتقنيات الحديثة للاتصال إلا في المواقف الحرجة ولم تعهدها يومًا ترتضي الأحاديث المقتضبة، تأججت الأفكار في مخيلتها حول تلك المناسبة الغامضة ولم تحن الفرصة بعد ذلك لمعاودة المهاتفة لاقتناص المزيد من الاستفسارات.

في تمام الخامسة، عادت بثينة للبيت مستهلكة القوى تهرول للانفراد بفراشها ساعتين على أقل تقدير، ترنحت في إغماءة عابرة وإذ بوالدتها توقظها باستحياء، يملأ التوتر تجاعيد وجهها المستتر خلف ابتسامة صفراء أحجبت لمعان أسنانها، كان لديها ما تريد أن تحكيه.. دون إلحاح أو مراوغة انطلق الكلام من ثغرها كحصان انفلت لجامه: "اليوم زارتنا كوثر زوجة عمك عبد الحى رغم القطيعة العائلية الممتدة لسنوات لتدعونا لحفل زفاف ابنتها الصغرى ندى بإحدى القاعات القريبة، وتنتظرنا اليوم في بيت أختها الكبرى عفاف الكامن معنا في نفس العقار لإقامة شعائر ليلة الحناء".

تسمرت بثينة كصخرة عاجزة عن حماية نفسها من فضلات الطيور، اعتصرتها المفاجأة وامتلأ حلقها بحنقٍ عظيم زادتة عصارة المعدة المرتجعة تشققًا وجفافًا، اختنق صوتها لبرهة وبوجه مسترخ ظاهريًا لوت شفتيها وهزت رأسها دون تعقيب بينما ينشع عرقها كزخات المطر بعد صراع قصير من الاحتجاز تحت مسامات الجلد؛ فهذة الزيجة ستفرغ العائلة على بكرة أبيها من جميع بناتها المشرفات على الزواج حتى

أصغرهن سنًا من كانت تناديها يومًا ما (أبلة بثينة) احترامًا لفارق السن وتبقى هي أكبرهن سنًا والمشرفة على التاسعة والثلاثين مَن سيطلقون عليها بجدارة لقب عانس.

خطأ ما في بث واستقبال الإشارات والذبذبات بين حواسها الحيوية جراء التعرض لصاعق كهربي جعلها تبدو كقطة مصابة في حادث سير وبحاجة لإسعافات أولية. آلاف من الأفكار تتدافع دون هوادة بشكل لا يستحق الغفران. لم تبدِ أي تعليقات احتشدت الأحاسيس والانفعالات المتداخلة في أعماقها كقبيلة من النمل تتناحر على قطعة سكر وتزاحمت الدموع في كلتا عينيها محمّلة بوافر من الضيق.

في مشهد أكثر تعقيدًا من قوانين الفيزياء يتسع ألمه بامتداد المواجع، تتشابك يد الأم والابنة، يقتربان حثيثًا من بعضهما البعض لتُقذف كل واحدة منهما في حضن الأخرى، تعلو التأوهات المتقطعة من كلتيهما كحصان ألهبته الكرابيج، و حِده الالتياع تزيد من قوة ضمهما بصلابة ارتباط ذرات كربون بعضهما ببعض. دقائق جثم فيها الهدوء كالموت حتى انتبتها معًا لصخب اجتاح شرفات الحجرة بصوت زغاريد المدعوات وصيحات عمال الفراشة أثناء إسدال كل واجهات البنايات المجاورة لهم بالكهارب ذات الومضات الملونة وارتفاع أجهزة الصوت بأغاني الأفراح المبهجة.

كهزة أرضية مباغتة أزاحت بقوتها مكان محور الأرض، انتفضت بثينة من حضن أمها لتنزوي في أحد أركان غرفتها، تتلاصق أكتافها بعظام ركبتيها تتسارع دموعها كدبيب يخترق شقوق الصخور، تركض أمامها صورة طفلة مشاكسة لا تتعدى الخمسة أعوام وتتعمد ارتداء حذاء بكعب

عالٍ وحمَّالة صدر منتفخة إعلانًا منها للجميع ببلوغها سن المغامرة.. تحدق بعمق في عشرات الصناديق المتراصة حولها والمتخمة بأحلام العرائس تتكدس بها بشراشف حريرية، مناشف قطنية، ملاءات مزركشة، أواني مطلية بماء الذهب، طبقات من ريش نعام، سجاد إيراني يدوى الصنع، نجف تتدلى منه قطع الكريستال اللامعة، وأثواب أنيقة بكافة الألوان والمقاسات التي ترتقي لمهمتها الأولى في الإغراء.. فزمّت شفتيها وأغمضت عينيها متصنعة ابتسامة رضا تتهكم بها على فنِّ تقدير الخسائر.

استحوذت مراسم البهجة المهداة لابنة عمها الليلة على امتداد نظراتها المتعامدة على الحائط فاليوم هو ليلتها الأخيرة في كنف ذكرياتها الطفولية وهي الليلة التي ستتسابق فيها النساء على تزيينها بطرق تقليدية متوارثة منذ عهد الحمَّام البلدى المنقوش على الجداريات الفرعونية، سيحففن جسدها من عنقها حتى أسفل كاحلها ويضعن الدهانات الملطّفة على مواضعها الحساسة، سيضعن الأقنعة الطبيعية على وجهها و يحممنها بالعطور، سيمشطن شعرها المصبوغ بالزيوت، ويخضبن كفيها وقدميها بالحناء، وأخيرًا سيلوِّنَّ أظافرها بالطلاء فتبدو كإلهة يونانية وعروس في كامل هيئتها للاشتهاء. وبنهج انتشار الأجوبة بالهمس في امتحان تحريري ملثم سينتهكنّ غلاف حيائها بنصائح مغلّفة بالذعر حول هول خرافات أول لقاء حميمي، لحظة رفع الستار عن ممتلكاتها المقدسة ودك حصونها بدوافع شرعية بحته وهذا بدهاء واستخفاف نزعاتهن النرجسية. فقد خلقن على أهبة الاستعداد الدائم لارتكاب الحماقات بذرائع مزاجية ونعرات طبقية، مدبرات للمكائد

بالفطرة ولِعَات بالنميمة، نشرهات لفنون الطبخ والولائم المُعدَّة للمآتم والافراح على حدٍّ سواء محترفات نظافة وبناء تكتلات دهنية. وبعد الانشراح لفعلاتهن الخبيثة سيبدأن بالرقص بميوعة مبالغ فيها كرقص الجواري للملوك على قرع الطبول تحت ساتر المجاملة لأن الدلال لا يمنعه نقاب يخفي الوجه ولا ملاءة تحكم قبضتها على جسد؛ فرائحة الغواية لا تمنعها النواميس. ثوانٍ ويتنقل العدوى بخاصية الانتقال الحراري نكاية في أنوثتهن المهددة بالانقراض ورفات أجسادهن المتعطشة للحياة. ينتشين كضفضع بري في موسم التزاوج بمجرد انزلاق كل الهرمونات الأنثوية دفعة واحدة في مسار تتعامد فيه الطاقة المختزنة على الرغبات الخاملة كتعامد الكتلة على الحجم في الفراغ لإقامة علاقة طردية فيزداد بريق أعينهن واندفاع الأدرينالين لأقصى مستوياته بسرعة لا يلتقطها رادار. يقرعن باب النشوة بأقدام حافية بداخل حلقة لا ينقصها سوى كودية زار محترفة يزيدها التصفيق ابتهالًا.. فهكذا النساء في بلادي؛ يمارسن الغوايات بمنطق عدوى الأوهام كتعويض نفسي عن الاتزان، يقاومن رغبات بحجم كوكب المشترى وانتساب شرفي لحياة زوجية من خلال بطاقة شخصية مدوَّن فيها "الحالة: متزوجة"، وخاتم ذهبي يلتف حول البنصر وحقوق أُحِيلَت منذ الليلة الأولى للتقاعد كدَينٍ مدفوع بالآجل لا يحين أبدًا موعد سداده؛ فما فائدة كتاب تاريخ في يد طفل أميّ؟؟

وسط هذا الفخ الجاهز للتنكيل، قفزت بثينة منتصبة القامة تحمل زهو قائد منتصر وتحدي زهرة أمام عنفوان الخريف تلتحف بعفتها مستعدة للمبارزة في هذا الحفل التنكري مهيأة لكل ما ستستقبله من

من قصف عشوائي برصاص الكلمات المغطاة بالاستعطاف والشماتة في فقرة من الكيد تعدها وتقدّمها محترفات حرق الأعصاب على مستوى العائلة خشية التطرق لشهية الغيرة وتتحمل جرعات المنافسة النسائية لنيل بطولة العالم في الاستفزاز المتوفرة نقدًا وبالتقسيط ومتاحة أيضًا بخدمة التوصيل المجاني حول دائرة التصفيات التي حصدتها منتزعة المركز الأول فيها وبخضوع عبدٍ أسود أمام مالكيه يتحول الجميع لمفتشي لجنة تقصي الحقايق تحمل أمامهم صرامة الإجابة كحتمية الرد على ملائكة القبر حول الأسباب الحقيقية لتأخُّر سن الزواج وتبدأ التكهنات التي تتراص كفرسان المعبد في معركة صليبية بين التعالي من جانبها على أي متقدم بحجة عدم التكافؤ أو ربما التصميم على إنهاء الدراسة لتنتهي باحتمالية الحسد وتتدخل العجائز بتسديد ضربات إضافية تندرج بيقين وجود أعمال سفلية وأنها حتمًا تقع تحت طائلة الربط أو العشق السفلي وتحتاج عرافًا قادرًا على فك الطلاسم بمساعدة عزائم قوى مكبلة الأصفاد منذ عهد النبي سليمان.

وكمريضٍ لم يتلقَ أدنى جرعات التخدير في جراحة عاجلة تتقدم المحللات النفسيات بلكزة أخيرة تطيح ما تبقى من رذاذ الصمود أرضًا باستعراض خبرات نساء من العائلة قمن بإيقاع زيجات فاخرة لبناتهن في زمنٍ تقلصت فيه فرص الزواج كتقلُّص أعداد الطيور النادرة رغم محاولات المهتمين بالبيئة و'لقاء تهمة التقاعس على أمها المكلَّفة كمثيلاتها من الأمهات بقيادة رحلة البحث عن عريس وإيجاده مهما تكلَّف الأمر والعارية قطعًا من برقع الحياء والتي تتضمن إعلانات معلنة في كافة المناسبات والاحتفالات والاجتماعات والزيارات فحواها مطلوب عريس

لعائلة محترمة يقدس الحياة الزوجية لايشترط مواصفات لا يوجد تصفيات الجودة عالية، وأحيانًا يزين الإعلان شقة هدية و عروض خيالية مجانية ١٠٠% زورونا تجدوا ما يسركم وفي آخر الديباجة نحن نختلف عن الآخرين.. سامح الله سيدنا نوح لولا اصطحابه لزوجين من كل كائن لارتاحت البشرية من الصراعات بعد اجتياح الطوفان العظيم.

بخُطى متثاقلة، غادرت بثينة غرفتها متجهة نحو والدتها المنكمشة على سجادة صلاة عتيقة يفوح الورع من جلبابها الريفي الفضفاض تتلهى عن الآلم والحسرة على حياة لاتزال أفراحها مؤجَّلة بعدِّ قطع الخرز في مسبحتها الفضية. دنت منها وبنظرات متصالحة مع النفس وهدوء ناسك في خلوتة، استقرت بجانبها وبرجفة بسيطة لا إرادية تصنعت البهجة بابتسامة مهذبة خالية من رائحة الاحتراق لتمنح جبينها قُبلة فاتحة للشهية. قاربت على التفوّه ببعض الكلمات التي بدت كقطرات محلول تنزلق باستبطاء أعضاء شِبه ناعسة استدرجتها المنبهات العصبية للارتطام بغتة بإشارات زمجرة منبه يحثها على الإفاقة، وصوت أذان يترعرع تكبيرًا، ودخانًا عبثيًا من بخور استوائي كافٍ لإحداث رقعة جديدة في ثقب الأوزون، هامَ يعربد في سماء الغرفة دون استئذان. حاولت فكَّ التشابك بين رموشها لكن جرعة عالية من الخدر تثاقلت على جفنيها فانخرطت بلذة مقاومتها لتحملق بنظرات مكتشف في كل الأركان، لامست محيط جسدها بطريقة برايل؛ لتجد نفسها مستلقية بفراشها متخذة وضع الجنين ملتصقة كطابع بريد بملاءة قطيفة أرجوانية أسفل كمٍّ لا يستهان به من الأغطية الحرارية بجوار قطة شيرازي بيضاء منفوشة القوام تلعقها بينما يدها اليمنى تحكم قبضها على كتاب يحمل عنوان

(نعم لازلت عذراء لحين إشعار آخر)، أشاحت بعينيها يسارًا لتجد كل قطع ملابسها التي ارتدتها بالأمس ملقاة على الأرض متبعثرة كالطحالب الخضراء على الأسطح الرطبة وجوربين من النايلون لا يزالان يمارسان اليوجا مع قدميها، بلمسة واحدة أسكتت الأزيز المتقطع للمنبه الذي وشى التقويم المرفَق بشاشتة إلى الجمعة الرابعة والنصف فجرًا. اتخذت وضعية الجلوس باستغراب شديد، أسندت ظهرها إلى حافة السرير الخشبية، طأطأت فقراتها العنقية برفق، رمقت ملامحها العابسة المنعكسة فين مرآة بإطار ذهبي مثبتة أمامها على الحائط المقابل بجانب نافذة تلذَّذ يود البحر بالتهام هيكلها ووفَّر الدخول الآمن لسيولٍ من الأمطار كافية لغسل كل ذنوب البشر.. هنا تداركت بدهشة الاستنكار مفارقات ركلة الهلوسة التي انتابتها ولفظَتها بتذكرة مجانية داخل لعبة خداع بصري لغياهب منام حصري ثلاثي الأبعاد بالألوان الطبيعية دون الحاجة لإدمان المهلوسات أو الخمر المغشوشة. تنفست بعمقٍ شديد، تثاءبت، همَّت بمغادرة فراشها بقوة الدفع لغلق النافذة بإحكام قبل أن يحاصرها صقيع جبال الألب وهي تتساءل بشغف: "أي مكيدة كانت ستختلقها زليخة بعد إعدادها للنساء متكئًا؟؟؟"

* * *

obeikandl.com

مُراوغَة

obeikandl.com

تلهي نفسها عن غيابه بنسيانه، تتجنب هطول رسائله، تتحاشى مداعبة متعلقاته أو الانفضاح بها على فراش لم يجمعهما بَعد، ألبوم صور لم يحن وقت التقاطها، تذاكر سينما لفيلم حَلِمَا يومًا بالذهاب إليه، ملابس سهرة لحفل لم يشأ القدر أن يجمعهما فيه، منشفة عليها رغوة استحمام في صباح ليلة حب وهمية، ابتسامة موظف الاستقبال في فندق لقضاء شهر العسل المعلَّق حتى الآن بالمشيئة، رائحة الغواية في صباح شتوي أسفل غطاء بارد، مقاعد سفر لرحلة لم يُحدَد اتجاهها، فستان زفاف لاتزال خطوط رصاصية مبهجة مرسومة على ورقة بيضاء، كتب متنوعة تزين معارض فارغة من مباغتتهم المفاجئة، هدايا صُنِعَت يومًا لأحدهم ولم تنل شرف الانضمام لممتلكاته. كلها أشياء رفضت التحرش بها وجمعتها في صندوق أسفل خزانتها لتستقر بجانب هواجسها ربما تستطيع النعاس ومبادرته بحديثٍ أثناء النوم يروي احتياجها.. لكنها ليلة أرق جديدة تضاف لقائمة الأوهام المؤجَّلة.

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

راهبة البلاط الملكي

obeikandl.com

تمددت جواره على بطنها تنظر له بسعادة ملتبسة بالحزن تبتسم بإيماءة الإغراء المستتر حتى أمالَ لها بيده فارتجفت ودنت منه بولع حتى اندست في أحضانه وتوسدت كتفه الأيسر ثم افترشت يدها عليه بالدفء لتنام كالطفلة على صدره.. أدارت وجهه نحوها بلهفة الاشتياق حتى تلاحما سويًّا كجسدٍ واحدٍ ملتصق الشفاه متعانق حتى الأقدام، كانا كحُلمٍ جميل لم يُولَد بعد، ظلا هكذا لساعات دون ملل، يختلسان الحب يهمسان خشية انفضاح أمرهما على القدَر الذي كان ظالمًا معهما ليجمعهما بعد طول انتظار كأنصاف أحباب.

غابا عن الحلم بغفوة كالتي أحاطت بتلاميذ المسيح ليلة العشاء الأخير واستمرت لساعاتٍ حتى أفاقا بعدها مهرولين على نداءات السفر الذي لم يمهل لهما من الوقت حتى قُبلة الوداع، لكن اكتفيا باحتضانٍ سريع كاهتزاز جناح الفراشة في الهواء، ثم عادت وحدها لبيتٍ آخر تتوحد معه على طريقتها بعدما تسمرت لدقائق كالتماثيل السوماربة خلف سيارة حمقاء تقله لغربته، ثم هرولت للأمام مسرعة الخطى كي لا يسمع هو نحيبها أو ترى هي دموعه الهاربة من مكابرته الرجولية لتلقي بنفسها عمدًا وغصبًا في غيب أسئلة خاوية من الرحمة..

تفكر دومًا: مَن سيملأ بيته بعدها بالبهجة.. مَن غيرها ستتحرك برشاقة لترتب الأواني وتعد وجباته المفضلة والتي لا تخلو صباحًا من الجبن والحليب الممزوج بالعصائر ثم تضع الطعام في فمه تارة، بيدها، وتارة بشفاها.. مَن غيرها ستفتح شباك غرفته المطلة على شاطئٍ قريبٍ لتفرد متعلقاته على أحبال الشمس نهارًا لتعود لجمعها ليلاً؛ خشية التطرق للظلام.. مَن غيرها ستجري خلفة بدلال في تلك الردهة المؤدية للحمَّام

لتحتضنه من الخلف فيسابقها تاركًا باب الحمَّام شِبه مفتوحٍ محفزًا إياها بصمتٍ لتنزع عنه ثيابه وتتوقه برغبات غجرية داخل الحوض الرخامي ليقوم هو بنزع مساحيق وجهها برفق تحت الماء الفاتر ثم يتحمم معها كوليدٍ يستمتع بحمَّامه الأول.. مَن غيرها ستلبسه قطع ملابسه أمام المرآة ثم تعطّره بأنفاسها الزكية ذهابًا وإيابا بمساحة جسده المستقطع من الفراغ.. مَن غيرها ستداعبه كطفلة وتحتويه كأمٍ وتجازبه أطراف الحديث بحميمية صديقة قديمة.. مَن غيرها ستروية كأنثى لا بل كقطة برية توقده لتشبعه نهمًا وافتراسًا وجنونًا حتى يئن ويتأوه في خدرٍ من الوهج ليستشعر رجولته الحقيقية.. مَن غيرها ستشد الغطاء فوقه كل ليلة لتحميه من لسعات البرد ثم تتسلل بأناملها الناعمة على وجهه لتغمره بقُبلَة طويلة تزيل بها عمرًا من المآسي والخسارات.. مَن غيرها ستبدو أنثى أكثر إغراءً بارتداء ملابسه الملقاة كالعادة يمينًا ويسارًا كفوضوية طباعه.. مَن غيرها ستصيب حواسه بالتشرد فور انسياب ذلك القميص الأحمر القصير على جسدها فينطلق نحوها كموجة هاربة أو كنغمة استقلت عن معزوفة موسيقية ليرتّل طقوسًا لا تعرفها المنظومة الكونية.. مَن غيرها ستضع المساحيق المرطّبة على وجهيهما وتلتقط لهما الصور التذكارية بقهقهاتها العالية الممزوجة بكل أوضاع الجنون كما تلتقط قطع الحلوى التي أحضرها معه.. مَن غيرها ستحيا معه لساعات كل يوم وترافقة لابتياع الكتب والهدايا وتشرف بدورها على أداء الخدم ثم تضع اللمسات الجمالية في كل بهوٍ وكل غرفة تستقبلهم قدماه.. مَن غيرها ستشاكسه في غفوته، في هزله وجديته، بمرح و ميوعة ممزوجة بفيض الدهاء الأنثوي لتقبض مفاتيح قلبه وغيرته.. مَن غيرها ستسدل جسدها على عينيه كي لا يرى من النساء

سواها.. مَن غيرها ستودعه كل مساء بدقات الحادية عشر بعناقيد من القُبَل من جبهته حتى أسفل عنقه لتتركه طفلاً يهنأ بفراش دافئٍ بينما هي تواري حزنها خلف ابتسامة هادئة.. مَن غيرها ستطرق بابه صباحًا حاملة بإحدى يدها الفرِحَة وبالأخرى احتياجاته اليومية.. مَن غيرها ستنمّق بريق مظهره وطلة جاذبيته باهتمامٍ بالغ لا يخلو من خبث الغيرة النسائية قبل أن يتهيأ للخروج.. مَن غيرها ستتلصص معه على عناق الموج بالمدى بتكتُّم النسمات الرقيقة في ذلك المقهى القريب من بنايته.. مَن غيرها ستلتصق به بذعرِ طفلة لحظة انقطاع كهربي وتتمنى دوام الظلام لتظل مستسلمة لهيبته وكرم رجولته في غرفة تتوسطها بقعة ضوء قمرية.. مَن غيرها ستستشيط غيظًا من كل عين تراه وهو كالبدر في ذلك الثوب الأبيض النقي كروحه.. مَن غيرها ستتنسم زفيرة الطاهر عندما يحنو عليها بذعر أبٍ انكفأ على طفلته الملقاة على الأرض إثر مرضٍ عرضي فتلقي نفسها بأجوائه تعويضًا عن كل سنين الحرمان.. من غيرها سيطويها بدفئه عندما تهاجمها الآلام أو تستفيق هلعة إثر أحلام مفزعة.. من غيرها ستعتصر وتنتفض خوفًا وشوقًا وشذرًا من كثرة أسفاره في بلاد العواصم الشقراء وتقدم القرابين عرفانًا بولائها له.. من غيرها ستلملم أوراقه وكتبه بداخل حقيبة سفره ثم تنظر لها دون إغلاق ربما استطاعت أن تكون متاعًا بين الأغراض.

حبيبي.. من سيذيب الجليد الذي اعتلى غرفتنا منذ لحظة وداعنا!!!

لكن ماذا تراه فاعلًا الآن بدوني أيتحمم برغوة لهفتي أم يتوسط فراش غيري تحت وطأة قانون العدالة، أيتحرش بأشيائي أم يُلهي نفسه عنّي بتغيير ذبذبات تلفازية لقنوات لا تحمل حروف اسمي، أيتحدث لظلي

الكامن إلى جواره، أم يمنع نفسه عمدًا عن مهاتفتي، هل كنت له مجرد حبيبة مؤقتة في زمن الأساطير فاقترن بها بشرعية زواجٍ لا يعلمه سوى الخالق.

يا الله كم أحتاج إليه وكم أشتاق للمبيت بين راحتيه، يا الله اغمرني برحمتك.. فأنا واقفة ببابك.. لِمَ تحرِّم علينا العشق مادمت خلقت لنا قلوبًا نابضة وإن كنا نستبيح عفوك بذنوبنا المنهمرة دومًا على غفرانك فلا تقسو على ولا تتركني لشيطاني فأشق ثوبي كما كان يفعل يوحنا المعمداني في هذيان ضعفة فلن أستحي منك إذا دعوتك أن تسخِّر لي بعض جندك من سُحُب ونسمات وأمواج وطيور مهاجرة تنقل له بعضًا مما أذاب لساني كلمات وتتشفع لي عنده بعدما رفعت إصبعي في الهواء شاهدة بوجوديتك إلهًا أوحد في السماء وبوجوده حبيب أوحد على الأرض..

يا الله أعِده لي بقوّتك كما أعدت يوسف لأبيه بعد طول بعاد وكما أعدت موسى لأمه بعد طول عذاب..

يالله مالي سواك إله ومالي سواه رجل من دون الرجال. يا الله إن كنت أسأت بك بجهلٍ مني فلا تجعل تطهيرك لذنوبي قاصمًا لظهري؛ فحُلمَك سبق غضبك فأنت الحق وكلامك حق ووعدك حق (ادعوني أستجب لكم) فلا تجعل بيني وبينه من سبيل للفراق يا ودود يا ودود يا ودود.. يا الله.

* * *

obeikandl.com

حَماقَة

obeikandl.com

بحماقة طفلة ترتدي جسد أنثى وقلادة محاربة وسوار إلهة إغريقية من زمن الأساطير، راحت تعبث بالألوان، تبدِّل أماكن الأجرام السماوية، تتحدى حركة دوران الأرض؛ بالعبث ببندول الساعات الجدارية، راحت دون وعي ترسم بالونات ملونة على أغلفة الكراسات المدرسية لتصنع مراكب شراعية من أوراق الكتب المتسولة على الأرصفة في موسم الراحات الصيفية فتلقي بكل ما في حوزتها لبِركة ماء صغيرة أمام أرجوحتها المعدنية أثناء صعودها وهبوطها وقهقهاتها الساذجة دون أن تتوقع هجوم ذرَّات الطين على ملابسها جراء أفعالها الطفولية؛ حيث لا مفر الآن من تغيير ملابسها وارتداء ثوب أبيض جديد.

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

أنثى رغم أنف اليأس

obeikandl.com

لا يزال الصمت مسجونًا بداخل غرفة لا يعتري أركانها سوى السكون الذي اضطرب فجأة من تلك الذبذبات المنبعثة من هاتفي المحمول معلنة بداية صباح جديد لكنه مختلف.. إنه يوم عيد ميلادي الخامس والأربعين.

أتحرك من سريري ببطء لأفتح عيني على ذكريات عمري المعلقة على جدران حجرتي منذ كنت طفلة تهوى قطع الصلصال والتلوين وحمل العرائس حتى أصبحت طبيبة تخدير تلتهم العمليات والحجرات المعقمة حتى أوقات فراغها. ابتسمت لكل الصور الفوتوغرافية والشهادات التي جعلت من تلك اللحظة شريطًا سينيمائيًا ينبض بكل أيامي وسنيني.

أفتح النافذة المغلقة ليتسلل دفء الشمس لتلك الحجرة الخاوية ليذيب كل الثلوج ربما لأتذوق ساعات من السعادة تهبها لي الحياة مرة كل عام دون مقابل لأتحرر من الجمود والروتين القاتل، وقبل أن أغادر النافذة تذكرت رسائل الطفلة الصغيرة التي كانت تبعثها للشمس بقطع أسنانها المكسورة لتلتقطها الشمس مبدلة إياها بأسنان العرائس من خلال مقطوعة غنائية ساذجة تشعل خيال الطفلة بحواديت ساخرة حول تلك الأسنان الجديدة.

وأثناء تفكيري في تلك الأنثى المسماة بالشمس والخلطة السحرية التي تجعل رونقها دومًا متجددًا و مفعمًا بالحيوية والشباب يصطدم وجهي بالمرآة فألاحظ لأول مرة بعض الخصلات البيضاء تتسلل بحذرٍ إلى مقدمة رأسي كتسلُّل الجنود الفارين من المعركة وهاهي هالة حول عيني ستكسوها بعض التجاعيد من الأطراف، حتى وزني ازداد قليلًا ربما

أصبحت بحاجة لتغيير أنواع وألوان ملابسي المفضلة المتراكمة في خزانتي لتناسب أنثى تواجة حقبة جديدة في حياتها.

وقبل أن أفكر في كيفية قضاء يومي أو أحدد قائمة مشترياتي لابد من أن أذهب أولًا لطبيب النساء ذلك الطبيب الذي لم أزره يومًا في حياتي إلا على المستوى الشخصي لأضع نهاية لتلك الأعراض والآلام التي تستبيح جسدي من حينٍ لآخر في الآونة الأخيرة.

تتسارع خطواتي لدخول العيادة.. ذلك العالم الغريب المكتظ بالسيدات ومشاكلهن سواء بحثًا عن الحمل أو متابعة صحة الجنين، ولم يخل المكان بالطبع من الحوارات الجانبية حول الجماع والفراش السعيد وجميعها قَطعًا أكاذيب وقصص مفتعلة يتم تداولها إما بشكل نصائح من القدامى لحديثي الزواج أو من منطلق الفضفضة أو التباهي أحيانًا. لم أشعر بالملل قَط وأنا أتابع تلك الأحداث وأتفحص تلك البطون المنتفخة، ربما يتواصل الأجنة أيضًا يتبادلون أطراف الحديث في دائرة تتسع فقط لكل رحم ممتلئ بينما رحمي أنا فارغ لا يحوي نبضًا ليشارك في تلك المسرحية الهزلية التي ينسجها خيالي.

وها هو دوري الآن لأتمدد على سرير الكشف كمريض وليس كطبيب كالمعتاد لأروي الدافع الجسدي وراء تلك الزيارة وبعد الكشف لم يخفف رهبة انتفاضة توتري السابحة في جسدي سوى يد الطبيب الحانية على كتفي وابتسامته البشوشة ليخبرني أنها أعراض طبيعية جدًا فكيف لي كطبيبة أن أغفلها؛ إنها أعراض ما يطلقون عليه سن اليأس والتغيرات الفسيولوجية التي لابد أن أتأقلم معها وأتعود على تناول الأطعمة الغنية بالفيتامينات كي لا ألجأ يومًا للهرمونات كعلاج تعويضي.

لم يسعفني عقلي بأي شيء من خبرتي المهنية أو حتى دراستي لأرد على حوار الطبيب بل استسلمت للصمت ووقفت لأودِّعه بهدوء دون تحديد مواعيد متابعة لاحقة. وقبل خروجي من العيادة التفت للخلف لأودع كل السيدات وأودع معهن آخر أمل لى في الأمومة لكني لن أسمح لكل قوانين الطب أن تسلبني حقى في الحياة بل سأعيش الأمومة رغم أنف عجزي مع كل صرخة طفل لأن الأمومة غريزة وإحساس قبل أن تكون رحمًا منتفخًا وهبَ الحياة لنطفة، لن تحولني المعادلات البيلوجية لدمية غير صالحة للاستخدام تحت مسمى سن اليأس، وأخيرًا سألقي عن كاهي عبء كلمة عانس ومعها نظرات المجتمع الخبيثة حول تأخُّر سن زواجي لأني سأظل أنثى أحيا وأستمتع بكل مرحلة في حياتي.. نعم سأظل أنثى قادرة على العطاء حتى ألفظ أنفاسي الأخيرة.

في تلك اللحظة فقط قررت كيف سأقضي يوم عيد ميلادي؛ سأبتاع الكثير من كعك الشيكولاتة وسأضيء الكثير من شموع الاحتفال دون أن أهتم بأرقامها أو حتى عددها، ولن أحكم على ضوئها بالإعدام خلال زفير أنفاسي بل سأتركها حتى ينتهي تمسُّكها الحقيقي بالحياة دون أدنى تدخُّل مني، وسأشتري أزهارًا بكل ما في حقيبتي من نقودٍ دون التطرق لسجنها داخل مزهرية بل لأبعثرها في كل مكان وأهديها لكل امرأة وكل طفلة وكل بسمة، ستصل أزهاري خارج كل الحدود لتبعث رسالة جديدة للشمس صديقتي القديمة ولكن هذه المرة ليست بقطع الأسنان المكسورة للطفلة الصغيرة لكن بقُبلة من أنثى على الأرض لأنثى تسكن الفضاء وتحتفظ بتوهجها طيلة آلاف السنين بعدها سأتحرر من جدران عالمي بخطوات ملائكية على رؤوس أصابعي متتبعة نغمات ذكرياتي

وأترك لجسدي حرية التعبير والحوار بلغته كراقصة باليه خرجت عن النص لتنفرد بمعزوفتها الخاصة تتمايل بهدوء الموجات الساكنة تبسط أطرافها في الهواء لتلامس كل ذرات الفراغ المحيطة، ترتجف، تبتسم، تتأوه، تنادي أطياف أحلامها لتستكمل معها الرقص في الهواء قبل أن يكف عمر خيرت عن العزف وتتوقف الأرض عن الدوران.

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

مقاومة

obeikandl.com

اتكأتُ على مقعدى لأريح رأسي ثم أدرت نغمات تتناسب مع مخزون القهر الذي يضمره قلبي ورحت أترنح مع كل نغمة لألوِّن الجدران بانفجارات دمي المسالة على جروحي المتقيحة من ملوحة دموعي المنهمرة عليها كزخّات المطر في كانون حتى تشبَّعت كل جزيئات العدم و انهزم السكون وتذمرت حركات الهواء المعاكسة من أطرافي التي تحولت لطواحين تخترقها بجنون وكبرياء مهزوم مجسِّدة أمامي كل حماقاتك في صورة "دونكي شوت" ذلك الرجل الساذج الذي حارب الطواحين وأعلن الحرب على مرَح الطبيعة ولم أستفِق حتى بعد سقوطي من هوة أحلامي على صخرة صدماتك جثة هامدة ملقاة على أرضٍ لا تحمل الثبات وتعاكس قوانين الجاذبية تنفرني وتعيدني بلطمات شديدة سريعة متلاحقة تدفعني للموت والحياة في آنٍ واحدٍ، تخترقني سكينًا لأعلى ولأسفل في نفس الوقيت دون شفقة، دون تردد، دون حنينٍ أيضًا. عذرًا أيها القدر، عذرًا لم يكن تشبُّث آمالي بك ضعفًا، أنا المرأة التي غار من ثباتها الجبال وثار من كبريائها البراكين. الفرار بباقي الجسد المبتور أفضل كثيرًا من الاستمرار في ترّهات تلتهمك كسمكة قرش تتلذذ بتقطيعك إربًا إربًا لتزيّن طاولة وجباتها على مدار أوقات الجوع اليومية؛ لذلك علمتني الحياة أن الكي بنصل السكين المحترق حقًا مؤلم، لكنه الشفاء القريب فمهما بقيَتْ التشوهات عارية إنها الغطاء الخارجي فقط لقلبٍ سيظل يحيا ودماء ستظل تروي ظمأ عروقك.

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

الفاعل ضمير مستتر

obeikandl.com

بعد استخارات متعددة وتفكيرٍ عميق قررت مهندسة الديكور داليدا وشهرتها "ديدا" وطبيب الأطفال عبد العزيز وشهرته "عزيز" وهما في كامل قواهما العقلية، الاستجابة لنية الحبس الانفرادي والعزلة الاختيارية، على أن تتم حفلة خطبتهما الخميس القادم بقاعة كريستال حدائق المنتزة الساعة الثالثة عصرًا. وسامحنا لله فيما سيلحق بالبشرية جراء تصرفنا.

إمضاء ديدا وعزيز

لم تكن دعوة خطبة اعتيادية تلك التي نفَّذها العاشقان وتداولتها جميع مواقع التواصل الاجتماعي بالسخرية والترحاب ودعوات الخير والتهنئة.

حفل تمَّ تصميمه بمهارة فائقة، استهله القارئ الشيخ سالم المحمدي والد العريس يشدو بصوته العذب وزِيّه الأزهري الأنيق، آيات الذكر الحكيم، وسط ترحيب العائلتين وبذخ ملحوظ في تقديم الحلوى والعصائر يعكس الفرحة العارمة لكافة الحضور.

بعد انتهاء المراسم في التاسعة مساء وتوديع الحضور، هرولت ديدا الشقراء الشهية بفستانها الأرجواني الفخم نحو سيارة عزيز البيضاء المزيَّنة بأزهار حمراء وشرائط الدانتيل المفضضة، ترفع طرف ثوبها وتتأبط حذاءها العالي خشية أن تنكفئ لتحتفظ بباقة أزهارها لمحبوبها، تلك المنتقاة بعناية من مجموعة محلات "فيوليت". فلم تكن ترغب في إلقائها كعادة الأميرات في حفلات التتويج. لحقها عزيز، أغلق السيارة من الداخل ليشاركها ضحكات هستيرية وتعليقات ساخرة لم تترك أحدًا من المدعوين إلا ونالت منه.

نقرات صوت هاتف صدم عزيز عندما كان على وشك أن يلثم جبهتها بقُبلة ساخنة، انتبهت ديدا بظهور رقم لايحمل اسمًا على الشاشة ينتهي بأرقام ثلاثة موحدة (٣٣٣) يعاود الاتصال به للمرة السابعة والثلاثين وكعادته في إتقان الردود الدبلوماسية، أقنعها أنه من المؤكد اتصال من أم أحد الأطفال المرضى ولابد من لعودة سريعًا للمشفى.

أوصلها أسفل عقارها وبمشاكسته المعتادة قبَّل يدها بعجالة ليلحق بدوره في نوبة المتابعة الليلية على وعدٍ أن يحتفظ بباقة الأزهار يتوسدها كل ليلة لحين موعد الزفاف ثم يتم الاحتفاظ بها مجففة في إبريق نحاسى صغير للذكرى.

استبدلت ديدا ملابسها وسط تهريج ومشاغبات شقيقاتها وتبادل الصور ومقاطع الفيديو عبر الأجهزة النقالة. إحساس خفي بعدم الارتياح دفعها للتوحد مع نفسها لدقائق، فتحت حاسبها اللوحي، تفقدت صفحة الحساب الخاصة بعزيز عبر موقع التواصل الاجتماعي "فيس بوك" والتي بدت كالمياة الراكدة لايميزها أي جديد ومعظم الصداقات رجالية إلا من إناث يربطه بهن علاقات أسرية واجتماعية قديمة بالإضافة لحسابات لاتحمل أسماء صريحة مثل (الله ربي) و(ملك الغابة) أسماء وهمية لكن لاتحمل صفحاتهم ما يثير الريبة. استعاذت من الشيطان وهي تضخ التفاؤول لعقلها الباطن.

يومًا كاملًا قضته ديدا نائمة هائمة طريحة فراشها لساعات طويلة تهاتف عزيز تتلقى الأوامر بنشوة عصفور للتوّ تعلَّم التحليق، مواعيد للخروج، تغيير نوعية الملابس، تغيير رقمها الشخصي وأشياء جعلت من الغيرة طعم حلوى دمشقية ساخنة.

في الصباح الباكر استعادت ديدا طلتها المثيرة لتفاجئ عزيز بزيارة هي الأولى من نوعها حاملة وجبة إفطار من شطائر التفاح اللذيذة صنعتها خصيصًا ليلتهماها سويًا. استقرت بسيارتها أمام مشفى التأمين الصحي القابع على أطراف المدينة وبخطى واثقة محمَّلة بقدرٍ وفير من الزهو، اتجهت نحو حجرة الاستقبال، استوقفتها صرخات أنثى بملامح ريفية وعباءة سوداء مترية تستغيث بالمعجزات الإلهية يتمدد أمامها طفل منزوع الملابس على سرير جلد مخصصَّ للكشف يعاني مرحلة حرجة من نقص الأوكسجين ينقلب جفناه لأعلى ليبرزا بياضًا لا يشوبه مكان لحدقة، تجبره الصدمات الكهربائية المتقطعة على العودة مرة أخرى للحياة.

تسمرت ديدا في مكانها دون أن تتفوه كطفلة مختبئة على أطراف اناملها خلف حوض سمك تراقب فقاقيع الهواء بتعجب. هرج ومرج المتسارعين لإنقاذ الطفل أنساها السبب الرئيسي للزيارة، استدارت يمينًا ويسارًا بحثًا عن حجرة الكشف المخصصة للأطفال، تتبعت العلامات والأسهم المثبتة على الحائط والمؤدية لممرٍ به بعض الترميمات يشير إلى مركز الأشعة التشخيصية والعيادات الخارجية وينتهي بمخرج للطوارئ. أمام مصعد معطل حيث تتراص مقاعد خشبية للانتظار وطاولة رخامية متخمة بالسجلات والأوراق تعلوها لوحة زجاجية لجدول التطعيمات. المكان خاوٍ تمامًا، اخترق سكونه زمجرة باب فتح ببطء، خرج عزيز بمعطفه الأبيض يمشط شعرة بأطراف أصابعه، انتفض من المفاجأة كمن لسعه قنديل البحر، تغلب على الارتباك بابتسامة حميمة ومرادفات لا تمتّ بصِلة لبعضها البعض، أثارت تشويشا متعمدًا على

جهاز كشف الكذب الفطري لدى أي امرأة وبدا من السهل كشف الأكاذيب بالعين المجردة. رمقت ديدا من فتحة صغيرة لباب لم يكتمل غلقه، سمراء ممشوقة القوام تعدل من هيئتها تتحلى بمشغولات من الذهب المغشوش، انكشف الحجاب عن رأسها فتحررت خصلات من شعر أسود كثيف لامع، تنحني لتلتقط قرطها الملقى على الأرض حول كومة من قطنٍ مبلل وزهرة بيضاء تشبه إلى حدٍّ كبير تلك التي زينت كنزة عزيز أمس الأول، تلتف ضمادة بيضاء حول رسغها تنم عن جرح سطحي وتشي الهوية المعدنية المثبتة على معطفها بأنها تدعى "إيمان" مشرفة التمريض. ضربة سياط موجعة أفقدت ديدا النطق والقدرة على التواصل أو التعبير، بدت كدُمية خشبية ملتهبة تجفف ملوحة البحر حلقها تطبق فكيها بإحكام، تحرض الظنون أوردتها على النفور ودفع الدماء للخروج عن النص. التفت يد عزيز حول خصر ديدا متحركًا بها للأمام باتجاة البوابة الرئيسية للمشفى محاوِلًا تبرير الموقف (إيمان مجرد ممرضة شاطرة معايا من زمان كانت محتاجة فلوس تسدد أقساط شهرية ومديونيات). ألقى العلكة على الأرض قبل أن يستأنف (بلاش سوء الظن، شهامتي دفعتني اتعاطف معاها، الثقة بينا لو اتهزت حياتنا هتنتهي قبل ما تبدأ) وقبل أن يشتعل لغم جديد بخلو خنصره الأيمن من خاتم الزواج الفضي بادرها (كطبيب بتعرض للتعقيم بشكل يومي اضطريت أخلع الدبلة شلتها في العربية أحسن تضيع وانتي كزوجة دكتور لازم تتفهمي طبيعة شغلي مكانك في قلبي مش في إيدي) رد مغلف باستعطاف لايسمح بمزيد من العتاب.

تقمصت ديدا دور المثقفة المتفهمة، ارتدت قناع اللامبالاة والهدوء وهي تثبت نضارتها الشمسية خلف أذنيها، ودَّعت عزيز بكلمات رقيقة بعدما أبدت موافقتها على وجبة عشاء الليلة بأحد الفنادق للاستقرار حول لون الحوائط، خشب الأرضيات، نوع الأجهزة والمفروشات وباقي المقتنيات وكل مايستلزم تنسيق عشهما السعيد. أدارت مفتاح السيارة منطلقة نحو المجهول، تستقر لفافة الشطائر إلى جوارها، بين الحين والآخر تلقى بنظرة على مرآتها الجانبية تفكر بعمق في الجملة المدوّنة أسفلها (الأشياء التي تراها بالمرآة ليست بحجمها الحقيقي).

قرون الاستشعار النسائية تمتلك حساسية مفرطة في توقع الأحداث وتحليل النتائج لذا قررت التشبث ببداية الخيط بمثابة دليل براءة أو إدانة، خطوة غير مضمونة العواقب كقفزة فيلكس المغامر في الفضاء. قائمة مشتريات كبيرة من أحد المتاجر، انتقت فيها ديدا أغلى المعلبات وأشهى المخبوزات وسلة فواكه طازجة كانت مدخل المجاملة لعائلة المحمدي. حفاوة الاستقبال مهدت لتمكين ديدا من اقتحام غرفة عزيز بسهولة مستغلة انشغال الأم بتجهيز وجبة الغذاء واستعداد الشيخ سالم لصلاة العصر. غرفة تبدو من الوهلة الأولى منمقة؛ أثاث تقليدي يدير بفتور حوار صامت مع عطور فخمة متناثرة، وحقيبة سفر مفتوحة تتكوم بداخلها ملابس مستوردة لاتزال الاغلفة تطويها. أداوت صيد وغطس، الأدراج تخفي تماثيل مقلدة لآلهة مصرية قديمة، هدايا تذكارية ذات طابع أنثوي، عينات مجانية لعقاقير مدونة حديثًا في كشوف وزارة الصحة. اتجهت مباشرة نحو المكتب، لحسن الحظ كانت صفحة التواصل الاجتماعي والبريد الإلكتروني مفتوحة لطمأنة الابن

الوحيد لعائلة مسالمة بعدم انتهاك خصوصياته. تصفحت بشغف وحذرٍ رسائل روتينية من مواقع طبية، نكات بذيئة تنتمي لحوارات رجالية، محادثات من صفحات ذات أسماء مستعارة تشترك جميعها في استقبال صور نسائية شِبه عارية مرفق بها أرقام هواتف. تتبعت الرسائل حديثة الإرسال كانت من حسابين أحدهما يحمل اسم (قوس قزح) وتؤكد الصور العارية المدرجة انتمائه لإيمان الممرضة، أما الثاني فكان يحمل اسم (الشمعة المنيرة) لم تحمل صورها نفس دناءة الأولى لكن محور الكلام المثبتة تاريخ بدايته لعام مضى أن له مدلولًا عاطفيًا. كتمت أنفاسها وهي تصطدم بصورة لتلك المجهولة وهي تتكئ على حائط ملون بدهانات زاهية بتموجات بارزة لتبرز وشم حناء يزين ساقها اليسرى ويتوسط ثديها الشحيحين، تحتضن باقة الأزهار الخاصة بحفل خطبة ديدا والتي أهدتها لعزيز الليلة الفائتة. رقرقت عيناها إثر ذلك الخنجر الذي انغرز بقوة في خاصرتها.

دوَّنتْ أرقام الهواتف، أعادت ضبط الرسائل لـ (غير مقروءة) واحتفظت بالمعلومات المدونة في كلا الحسابين والرسائل الخاصة في مفكرة صغيرة بيضاء كموقف احترازي خشية تدمير وثائق الإدانة.. إيمان تثبت بياناتها الشخصية تفوُّقها على عزيز بفارق سن يتجاوز بسبع سنوات، فشلت زيجاتها الثلاث السابقة ولم تثمر أراضيها البور عن أي بذور صالحة للنمو، تتقمص دور الناشطة السياسية المتحررة والمنتمية للعديد من الحركات الحقوقية. أما الثانية تؤكد المحادثات بينهما أنها طبيبة يتيمة الأبوين تعيش لدى أحد أقاربها بمدينة طنطا تعاني الوحدة وشبح العنوسة. تبرز الردود الأخيرة سر إهدائه لها أزهار الخطبة؛ فأمس كان

يوم ميلادها أتت لقضائه بصحبة عزيز بحجة العمل التطوعي مع إحدى القوافل الطبية المتنقلة للعلاج المجاني.

تكتل الأفكار في مخيلة ديدا كان أكثر عنفًا من زحام اللصوص في الأسواق، ربط الأحداث بالوقائع والصور تؤكد أنها صاحبة الهاتف الذي دفعه مهرولًا لخيانة مغلَّفة بطابع إنساني ليلة حفل خطبتهما، والحائط الملوَّن الذي تقدم الصدارة في الصورة بلا استحياء ينتمي لحجرة الاستقبال الكبرى بفيلا آل محمدي بطريق مريوط والذي شهدَ منذ أقل من شهرٍ حفلًا عائليًا صغيرًا نظمته عائلة المحمدي بمناسبة تقاعد الحاجة علوية والدة عزيز ووصولها سن المعاش بعد أربعين عامًا كفاحًا مضنيًا كمعلمة ثم موجه عام للمرحلة الإعدادية بوزارة التربية والتعليم.

أسرعت ديدا بمغادرة الغرفة فور سماعها وقع أقدام تقترب، جزت على أسنانها لتتحامل على آلامها وتبتلع مذاق الخيبة الملتصق بحلقها، تخطت عتبة الباب لتواجه الحاجة علوية في الردهة المقابلة لغرفة عزيز، يتابع الأب الأخبار والبرامج الوثائقية رغم مجمل أخبارها الصادمة، بجواره زوجته تهز رأسها دون تعقيب؛ فمشاهدة تلك البرامج مفيدة لكنها غير ممتعة. اختلقت ديدا أعذارًا وهمية لتتملص من وجبة الغذاء، أنهت الزيارة بضحكات صاخبة وقُبلات وداع مبالغ فيه؛ طالبة منهما إخفاء الأمر عن عزيز لتتمكن من إعداد مفاجأة مبهجة له.

معطيات جديدة أدارت دفة الشكوك نحو منحنى غير متوقع، أجهضت فكرة اليقين أن الأمر برمّته لا يتعدى حدود حلم يقظة. نزلت الدرج بلكاعة غير متعمدة، ينضج القهر بداخلها على مهل، تكتم أنفها النازف بمناديل ورقية. أصبح الواقع يفرض قناعاته ولم يعد القرار أو العدول

عنه بالأمر الهين. قرب الباب الزجاجي لبناية آل المحمدي، استفزتها ملصقات دينية وتربوية مما جعلها تفكر كيف نحمل أسماء توحي بالتقوى، نرتدي ملابس العباد، نوثق على جدارياتنا الأدعية والبركات والتهاني بزيارة الأماكن المقدسة، نهرول حافي الأقدام لرجم الشياطين بينما أحذيتنا لم تخلع وحل ذنوبنا وتنتظرنا في بلد آخر لنحتفل بسلامة العودة. لسنا أتقياء تمامًا كما نعتقد فمنا من يستبدل شفافيته بأعين ذات عدسات زجاجية تعكس ما تريدك أن تراه وليس بالضرورة ما تكنه بداخلها.

انخرطت وسط حشد من رجال يحملون متوفيًا على محفة خشبية مغطاة ونحيب نسوة متشحات بالسواد إلى أن استقلت سيارتها في حيرة من أمرها؛ تتساءل كيف تغلَّب المسيح على خيانة؟.. صديقه سؤال يدع أينشتاين نفسه يقبل على الانتحار بعد مرحلة طويلة من العجز.

ساعات إضافية قضتها ديدا جالسة على حشائش يابسة في حديقة تبتعد عن بيتها مسافة مئتي متر، شكَلت الأحداث حزامًا ناسفًا قادها لمزيد من التخبط، تفاقم النقاش والجدال بداخلها استولد صراعًا بين المواجهة والتسامح أو التخلي. العاشق دائمًا أعمى لا يرى عيوب معشوقه المتكئة أمامه على جدارٍ شفاف منشغلًا بخلق الأعذار؛ بينما الآخر لايخجل من تكرار خطئه. نحو بيتها سيرًا على الأقدام التفَّت حولها مشاهد مركَّبة للقائهما الأول، اليوم الذي لم تجرؤ فيه على مقاومة حضوره المستفز لأنوثتها، وقدرته على انتقاء المفردات ورؤوس المواضيع بنفس الأناقة التي اختار بها كنزته و رباطة عنقة، ملامح دافئة، ابتسامة عذبة، حنين سرى ينقله لها عبر قنوات غير مرئية، ردود قاطعة وتلقائية

حوَّلتها بعد ساعتين من امرأة عنيدة لصبية تمسك بأطراف حديثه وتلاحق خطواته، تأثيرة القاطع على كيمياء حواسها أمرٌ لايمكن إنكاره.

برذاذ إرادة متهالكة، استعدَّت ديدا للقاء عزيز مساء كما هو متفق، يربض القلق بجانبها كطفل يتيم، تبتلع هلاوس تنساب على رأسها وكفيها كماء الوضوء، متخبطة تقمع ثورة ردودها الانفعالية بداخل غرفة عزل مبطّنة بطبقة سميكة من مضاد للصرخات. للحظات تسللت فكرة المواجهة، تستدرج عواطفها للتسامح كمبرر لفرصة جديدة، استسلمت لفكرة العتاب كحلٍّ أمثل يقضي على تهوُّر نزوات شاب مثل عزيز كقطعة عجين سيسهل إعادة تشكيلها تحت احتياطات أمنية مشددة تضمن عدم تكرار الحماقات. نهضت بحماس باحثة عن هاتفها لتجد شقيقاتها يدفعنها بقوة نحو الشرفة حيث المفاجأة التي غيرت مجريات الأمور؛ لافتة إعلانات كهربائية كبيرة كانت تستقر بجوار بنايتها تعرض صورًا لديدا وعزيز بكامل حجم شاشتها وكتابة 'لكترونية نصها (عزيز بيحب داليدا ربنا ميحرمنيش منك). انهمرت دموع ديدا، قلبها يرتجف فرحًا كفيل بإزالة شوائب ذنوبه السابقة، حيث صمم على بقائه هكذا داخل السيارة يرمقها من بعيد، يهاتفها حتى ينسدل النوم على جفنيها ليضمن لها أحلامًا سعيدة.

توالت تصرفات عزيز الغير متوقعة شهرًا كاملًا، أغدق عليها بالأشواق والهدايا ورحلات اليوم الواحد حسب جدول راحاته من المرضى.

استمتعت ديدا بما توقعته عزيز بطلته الجديدة، قاومت شبح التلصص لكن اعتذار عزيز عن موعد استلام قطع الديكور المستوردة خصيصًا لهما تبعًا لأمر الشحن بمكالمة هاتفية سريعة بحجة تكدس الطوارئ

بحالات حرجة تستلزم الملاحظة وتأجيل الأمر للغد، تركها كفريسة تنهشها الأفكار كنادل مهذب يشرف بنفسه على سقاية المعذبين بمياة حارقة بنكهة الفواكه المحرَّمة بجناح خاص في قاع الجحيم.

اندفعت بتصميم ثأر صعيدي نحو سيارتها متجهه لفيلا آل المحمدي بطريق مربوط فلم يكن السكون المحيط بصوته يليق بمشفى.

أمام بوابة الفيلا الحديدية، كانت تربض سيارة عزيز بسلام، السلاسل الحديدية لا تحكمها أقفال، ملفوفة بترهل حول طرفين بارزين من معدن لامع. فتحت البوابة بحرص سارق محترف تتحسس النجيل الجاف بأطراف أصابعها بخفة راقصة باليه، أنوار الغرفة الرئيسية بالطابق الأول مضاءة. ببرهة الدقائق الأولى من الامتحان دلفت الرقعة اليابسة المؤدية لحمَّام السباحة والتي تنكشف عليها نوافذ الغرف الداخلية. استفزها تأوهات خافتة تتسلل ببحة أحبال صوتية منتشية عبر فتحات عرضية صغيرة متوازية لنافذة غرفة تطل على الشارع الجانبي، اقتربت ببطء تحكم قبضة يدها على صدرها لتمنع انفجار قلبها من تزايد معدل نبضاته.. كان عزيز يلتصق بسلعة رخيصة تتفوه بألفاظ وإيحاءات قذرة تندفع متعته وسط سيقان ملساء خمرية منفرجة باتساع زوايا الأدوات الهندسية، مسجاة على الأرض يغطي شعرها ملامح وجهها. تعلو أنفاسه الغير منتظمة كمن ينهل من رحيق امرأة طال أن اشتهاها، كانت إيمان الممرضة بئر الإشباع الذي لا ينفذ. أدارت ديدا وجهها تكتم شهقاتها بباطن كفيها، حاولت الفرار لكن ساقيها ظلتا مغروزتين في الأرض كشجرة عتيقة، ووخزات حادة تضرب مؤخرة رأسها. بصعوبة استطاعت العودة لسيارتها لتتخذ طريق العودة ومعه قرار

حتمي بإنهاء علاقة أوشك رصيدها على النفاذ وتكهنات حول الارتباطات والتساؤلات العائلية، كانت على يقين أن شرذ الشرارات الكهربائية لا يميز بين الجاني والضحية وماتحملة من دلائل ماهو إلا انفراد حصري كافٍ لتدمير أسرة، هيكلها الخارجي تحميه زرائع دينية.

على جانب الطريق التقطت هاتفها من قاع الحقيبة بحثت عن اسم الضحية الأخرى والمدونة حركيا في بريد عزيز الإلكتروني تحت اسم (الشمعة المنيرة). دق الهاتف مرات عدة قبل تتلقى الرد من الطرف الآخر :

- ألووو. .مين معايا؟

- حضرتك اللي طالبه ! حضرتك عاوزة مين ؟

- أنا الباشمهندسة داليدا خطيبة الدكتور عزيز.. كده عرفتيني!!!

سكون لحظي جثم كالصاعقة

- الدكتور عزيز مين ؟

- الدكتور عزيز سالم المحمدي طبيب الأطفال.. إسكندرية.. مش معقولة هتكوني في علاقة مع شخص لأكتر من سنة ومش عارفة اسمه؟؟؟

خنجر مسموم استقرَّ في عنق علياء الطبيبة صاحبة الاسم المستعار ليشق جسدها إلى نصفين داهسًا معه نخاعها الشوكى ليدمر إرسال واستقبال الإشارات العصبية. باغتتها ديدا بسيل لايتوقف من الاتهامات والإدانات الجارحة دون رحمة لتنتزع اعترافًا صادقًا غير ملغم بمبررات الخداع والدهاء الأنثوي.. تقيأت علياء بكل مابداخلها، بركان خامد

انفجر بحمم منصهرة دون أن يوقظه أحد. شرح مسترسل تتغلغله أدق التفاصيل منذ أن كانت زميلة عزيز فترة دراسة الجامعة إلى أن التقى بها صدفة عبر شبكة التواصل الاجتماعي، لم تكن في البداية سوى صداقة مصمتة تطورت لعلاقة عاطفية أدت لطلب حقيقي للزواج اتخذه عزيز، تقدم لأهلها رسميًا بمفرده في جلسة تعارف صرح بنيته وقدَّم خلالها خاتمًا من الذهب الأبيض ووعود مؤجلة التنفيذ لحين تهيئة الوقت المناسب.

نفس الخنجر المسموم عاد ليندس في قلب ديدا وهي تنصت للتفاصيل بذهوووووول كزهرة أذبلها القحط وتصر على مواجهة الخريف.

ثلاث ليالٍ متتالية لعبت فيها الضحيتان دور الجلَّاد والفريسة تستنكر كلتاهما وضع الأنثى الثالثة إيمان الممرضة إن كانت ظالمة لنفسها أم رقم ضمن لائحة ضحايا عزيز مرهونة بوعود زواج كاذبة.. ثلاث ليالٍ أجبروا الضحيتين على التريث والتجمل بأقنعة السكينة وتبادل الأشواق الحارة مع عزيز لاستكمال فك شفرات غموض عالمه وتتبع نساء لسن سوى أرقام تجاوز أعدادهن نجوم مجرة التبّانة بكل كواكبها ونيازكها. تفهمت ديدا وضع علياء وتحول الكره إلى تعاطف يستلزم حلًا جذريًا يتكفل بالستر وعدم افتضاح الأمر مهما كان الثمن. فلم يعد الأمر يرتقي لخصومة عاطفية بقدر تحويل مسارة لهتك كرامة أنثى عاشقة وازع دفع ديدا وعلياء للقاء عزيز معًا مواجهه قاسية وحتمية لإنهاء صراع دموي استنزف حرق الصبيتين على مدار أيام.

في مبادرة لم يكن يعلم عواقبها حدد عزيز هاتفيًا يوم الجمعة صباحًا للقاء علياء بأحد مطاعم طنطا كما جرت العادة منذ عام بعدما فشل في استدراجها لخلوة في مسقط رأسه.

استيقظت ديدا مبكرًا استعدادًا لوليمة الانتقام، تزينت لعرس كبريائها، أخفت ببراعة الخدوش التي ألحقتها مخالبه بملامحها، لحقت بقطار الثامنة صباحًا درجة أولى مكيف متجه إلى طنطا. أسندت رأسها على وسادة هوائية لتتفادى آلام الفقرات العنقية. ساعتين تتقاذفهما التوقعات، بكت نفسها على استحياء وبكت من ستأتي بعدها، لم يكن حنينًا بقدر ماكان نزعة نسائية سادية في عدم امتلاك الأخريات لممتلكاتنا حتى المكسور منها.

تواصلت مع الله بلغة صامتة؛ فالله دائمًا جابر الخواطر يصغى لصرخاتنا وآلامنا وأحلامنا ودعواتنا ربما يؤجلها لكنه لا ينساها؛ لأننا نرتكب نفس الأخطاء دون أن نملّ من تكرارها ودون أن يمل الله من غفرانها.

صفارة مدوية أعلنت الوصول لرصيف رقم ٤، لحظة تاريخية تعرَّفت فيها الصبيتان على بعضهما البعض بحدس أنثوي لا يخطئ، تعانقتا بودٍّ مصطنع وابتسامات تتأرجح بين مقارنات داخلية ونظرات شفقة وتعاطف. تجولتا وسط المدينة تحملق كل واحدة في قوام الأخرى، زينتها، ملابسها، عطرها، ولا إراديًا تزكي نفسها للفوز بالمركز الأول في مسابقة ملكة جمال ضحايا نزوات عزيز المحمدي. رسالة نصية على هاتف علياء تؤكد وصول المهدى المنتظر للمطعم وانتظاره لتشريفها. سيارة أجرة ضمنت وصول ديدا وعلياء في أقل من عشر دقائق. دلفت

علياء بمفردها تعلو وجهها إيماءات الاشتياق فاستقبلها عزيز بود مبالغ فيها. ترقبت ديدا الموقف خلف الزجاج كأنها وجه أربك ظهوره الخطأ حميمية صورة تذكارية جمعتهما دون سابق علم منها. دقائق استوقفها عناد القدر الذي وضعهم جميعًا في تلك الزاوية على حافة الجنون ليقوم كلٌّ منهم بدوره في مسرحية هزلية لا مجال فيها للحب أو المنطق فقط البصمات الملوثة كانت من نصيب الجميع. اقتحمت المكان بخطوات ثابتة ونظرات عمودية قتلت عزيز عشرات المرات قبل أن تصل للطاولة. برقت عيناه، تهدلت شفاهه، ارتخت سيقانه معلنة رفضها المسبق لنية النهوض. تصافحت الصبيتان أمامه بحرارة لقاء الأحبة في صالات المطار.

لابد أن يحسم الحب على طاولة ثلاثية الأبعاد ولمن سينحاز الحظ السعيد جميعهم وجهًا لوجه أما الحقيقة، صفحتنان ناصعتا البياض إلا من بُقع حبر أزرق وقلم يحتمي به السجَّان بين أصابعه وفنجان من القهوة المرة تحيطها كومة من أعقاب سجائر محترقة.

لم تغير دهشة المفاجأة ملامح الارتباك المبهم لرجل يحمل رتبة مرموقة في الثبات الانفعالي. احترف الرد على الأسئلة بأجوبة مقلوبة الصيغ ليمنح نفسه فرصة تزوير الحقائق حتى بعدما شوهتها خياناته حيث لا مجال للأحاسيس النقية، ردود متخاذلة مهترئة تلاها سكون دفع ديدا لوأد صمته:

(ليه بتعمل كده ياعزيز ليه بتحرق كل اللي حواليك بدم بارد ؟!).. لم يستطع الرد

فأردفت علياء: (ليه كدة حرام عليك دا أنا وثقت فيك، صدقتك، سلمتك نفسي، حسبي الله ونعم الوكيل حسبي الله ونعم الوكيل).

بادرتة ديدا بما كان يغوص في صدره: (أنا خطبتني رسمى وعلياء رحت لأهلها عشان تدي لنفسك غطاء شرعي لعلاقة مشبوهة إنما إيمان بقى.. انت أدرى).

نفرت عروق عزيز واندفعت الدماء في وجهه شلالات نياجرا لايمكن التصدي لعنفوانها، حاول تبرير الخطيئة الجديدة التي زادت رداءه اتساخًا.

(أي علاقة إيمان دي مجرد...)

قاطعتة ديدا بحدة قاسية (شفتك معاها من ٣ أيام في فيلا مربوط، متجبرنيش أقول تفاصيل مش عاوزة اقولها حتجرحك أكتر من كده).

تجرع كأس الماء دفعة واحدة، مسح العرق الذي يتساقط من جبهته كزخات المطر، محاولة فسيولوجية لتلطيف الحمم المشتعلة بداخلة (إيمان عارفة اني مش هتجوزها احنا بالنسبة لبعض استراحة متأمنة وهي قابلة حتى بالعرفي بس عمري ماهنزل للمستوى دا).

(طب وانا كنت إنسانيات بردو !!!) هكذا عقبت علياء والكلام يختنق بحلقها (سنة حب وغرام وأشواق، استغليت ظروفي، حولتني لعروسة لعبة تنفذ بس رغباتك عشان ترضيك ومصدقة وعد الجواز والظروف، خلتني عملت اللي عمرى مافكرت انى اعمله، خسرت نفسي وكرامتي وثقة أهلي فيا منك لله منك لله).

واصل عزيز حشو سلاحه بذخيرة ذات قذيفة واحدة فقط حقيقية ليبدأ لعبة رولت روسية لايدري ستستقر في قلب مَن، تلكأ قبل أن يجيب (أنا آسف حقيقي آسف منكرش اني حبيتك، حاولت نقرب، في حاجز بينا مخليني مش حقدر اخد أي خطوة أكتر من كده، خطبت ديدا لأني حبتها وواقعيًا هي الأنسب لوضعي الاجتماعي).

(الأنسب!!! مفكرتش في الأنسب وانت بتستدرجني لنزواتك. انت حيوان ياعزيز حيواااااااان). كادت أن تفقد علياء الوعى وهي تصرخ هكذا أمام عزيز الذي عنَّفها (مسمحلكيش، مقدر ظروفك..)

تدخلت ديدا لفض الاشتباك حانية على المأساة الساكنة إلى جوارها (إنت فعلا مش إنسان ياعزيز، وكلام الحب اللي قلته عني مش هيصلّح اللي انكسر فينا، معنديش استعداد اتجوزك واخلّف بنت تكفر ذنوب ابوها واعيش حياتي كلها في حيرة ونار وقلق وانتظار عقاب ربنا بدعوات ضحاياك، دبلتك اهي).

صاح عزيز كطفل يسترضي أبويه (لاء لاء ياديدا أنا هتغير أوعدك هتغير حقفل الإيميل والفيس بوك نهائي هعمل أي شيء يرضيكي، أوعدك) حاول أن يقبِّل يدها، سحبتها عنوة، همت بالنهوض، استوقفها راكعًا لكن ديدا أنهت كلامها بضربة قاضية (عزيز كل شيء انتهى، مش هبلّغ أهلك السبب الحقيقي عشان ميتصدموش فيك، هخلق أي أعذار، بس متنساش الدنيا داين تدان ولو معندكش اخوات بنات فهيكون لك في يوم من الأيام زوجة وبنت خاف على ولايا الناس ذنب الأعراض مش بيضيع، علياء أولى بيك).

انسحبت ديدا في عجالة، دفعت حقيبتها لتهشيم مزهرية صغيرة من البلور توسطت الطاولة، حاول عزيز أن يستوقفها دون فائدة وخلفه علياء تستبقيه بدموع حارقة ونظرات استعطاف، التفت لها مخاطبًا ضعفها بتلعثم (أنا آسف مش هقدر اكمل، نبعد دلوقت أفضل، انتي دكتورة وعارفة عملية بسيطة تحل أي مشكلة وانا هكون شهم معاكي واتحمل المصاريف وأي حاجة تحتاجيها أنا تحت أمرك).

أطلق لغم الكلمات بهمجية أهواء قفزة نرد، تنصل من وعودة الشيء الوحيد الذي منحها إياه طيلة ثمانية أشهر، شهقت بقوة روح تحتضر تسلك الحلقوم كآخر بوابة للخروج، وبحركة لا إرادية سحبت كوب الباب لتقذفه في وجهه ثم تركض نحو الباب حاملة خيبتها وعارًا لايقل حرجًا عن مواجهة العذراء بطفلها لبني يعقوب، لم تعد تشبع نهمه ولن ترضي بفتات ولائمه.

كانت ديدا بطريق العودة للإسكندرية قطار الرابعة عصرًا مثقلة بزهو انتصارها لكرامتها كعروف تتفاخر ببكارتها رغم دمها المسفوح على مخدع لم يخجل أن يعرض أنوثتها للفرجة المجانية بذريعة التباهي. بفضول شجر الدر وهي تتفقد جواريها، تحرَّت صفحة التواصل الاجتماعي الخاصة عزيز عبر هاتفها المحمول، لم تتمالك ضحكاتها الساخرة حتى سالت دموع عينيها وهي تشاهد قام عزيز بكتابة منشور على صفحة(زهرة الجوري) الآن، يسعدني قبول طلب الصداقة مرفقة بصورة ورود حمراء وشموع. مررت إصبعها على خانة حظر لإنهاء هذا الهراء، عادت لصفحتها تحدث الحالة وتكتب:

(عندما تغدر بامرأة ذكية أحبتك يومًا، فلا تنسَ أن ترتدي قفازا واقيًا فنزعتها الانتقامية ستجبرك على مصافحة قدر ما سينتظرك على حافة الهاوية بحميمية مغلفة ببساطة الأسباب الملفَّقة).

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

فِرَاش متصدِّع

obeikandl.com

قشعريرة غريبة تسري بداخلها، تلتهمها، توقظ بداخلها ذبذبات تدب ببطء في جسدها المرتجف ذلك الجسد الذي لم يطفئ ملمس الغطاء البارد جمر اشتياقه، تتسلل الآهات المكتومة من سجن الرغبة تحاول أن تجد ملاذًا خارج كل الحدود الحمراء، خارج كل الخطوط التي يرسمها الفراغ بمحاذاة أشلائها المبعثرة التي تبحث عن فراشٍ لا يعترف بالسكون؛ فالسكون دائمًا يفسد لحظات المتعة تبحث عن فراش يعي لغة الجسد ويؤمن بقوانين الجاذبية تحتضن جسدها أمام المرآة، المكان الوحيد الذي يعترف بأنوثتها فهي لم تعد مصدر استقبال لنبضات متقطعة الإرسال. تتضارب نظراتها بعمق ما بين الرغبة والخجل، الإحساس واللامبالاة ،الوعي واللاوعي، التعود والاشباع، تتحسس نعومة ملمسها ربما في محاولة فاشلة لإخماد ثورة احتياجها؛ لقد أصبحت تكره الرتوش والألوان، تكره حراس المقابر، تكره كل ما يمكن قسمته بين اثنين حتى تعودت بعثرة جميع الأرقام الزوجية تحت المنضدة وفوق كراسي الحديقة وتقف لتتأملها خلف قضبان النافذة ربما ترسم تلك العلامات أبجديات جديدة للتواصل وما بين الهمهمة والتلعثم يستيقظ زوجها فجأة باحثًا عن رشفة ماء لينتهي ذلك الحوار الجسدي دون موقف حاسم وفي محاولة سريعة منها لارتداء خيوط ثيابها المهزومة تعود مرة أخرى للفراش باحثة عن جسد زوجها الضائع.

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

اعتقال عاطفي

obeikandl.com

أنفاس تستعيد ذكرياتها وأجساد تخور قواها شوقًا، آلام تحلق فوق طبقات السحب وهبوط اضطراري، إحداهن تسرع خطواتها على السلالم المعدنية وتسهو عن حقائبها فوق سجادة كهربية وأخرى لازالت رقم في قائمة انتظار رحلات الترانزيت بمساحة شاشات المطار الإلكترونية، لا تملك سوى يدًا تحمل مزهرية ويدًا تقاوم قيود ضابط مكافحة الإرهاب العشقي الذي لا يكف عن مطاردة المعتقلين العاطفيين لتفتيت بقايا الصمود الكاذب. وهمًا اعتقدت أنه يساهر النجوم ويضاجع الذكريات لم تعِ أنه يمارس مهامه الرجولية المعتادة ويلتقط المزيد من الصور الفوتوغرافية بكامل أوضاع الابتسامات التي قيل عنها إنها زائفة بمتسع من الوقت المهدور الذي ينتهي ليلًا بفراش سعيدٍ متجنبًا حماقات القلم الحزين أو جنون الأوراق البيضاء فلا فارق بين الاحتياج والاشتياق مادام هناك جسدان على شفا متعة وأظافر تخمش صدر الرغبات المتأججة وشاهد يقف من بعيد بحس أنثوي يترقب كل لحظة أن شيئًا ما يحدث هناك الآن؛ حيث لا حواجز تقي شرارة تحريض عاطفي على فراش محموم لتكون المحصِّلة النهائية زهورًا أذبلها القحط وبراعم صغيرة أنبتناها في قصيص آخر بكامل متعتنا متسترين خلف شبهة التحريض.

* * *

obeikandl.com

بالونات بلون الكفن

ورتوش قوس قزح

obeikandl.com

obeikandl.com

أسترخي على الكرسي الهزاز بهدوء، أحاول أن أقاوم رغبتي في النعاس أمام التلفاز فقط أشحذ نفسي معنويًا لمواجهة الضغوط واللكمات الحوارية النسائية التي ستقذف في وجهي كالعادة بفضول وتفحص لجسدي طيلة هذا اليوم أثناء طقوس الاحتفال بالمولود الأول لشقيق زوجي الأصغر.

ألملم قواي وأتدثر بإيماني، أتمتم بكلمات الله ليهدأ قلبي وتستكين انفعالاتي المتمردة لبضع دقائق قبل أن ينكسر الهدوء بمكالمة أمي المعتادة في مثل هذة المواقف التي تتواصل معي فيها بدفءٍ دون أن تعي عُمق الجرح الذي يتركه كمّ الإشفاق المنغمس في دعائها لي بالذرية الصالحة وبكائها المخنوق في حلقها؛ خوفًا على أمومتي المسلوبة وخشية أن يتهشم صمودي فأطمئنها على حالي؛ فسبع سنوات من زواجٍ منزوع البهجة خالٍ من الأطفال أعزل من بكائهم الليلي شاغر من مشيتهم المرتبكة على مهل وأناملهم الصغيرة وهي تمسك بأحد أصابعك ببراءة كفيلة جدًا لأتلقى مناعة نفسية وأمصالًا ضد المواجع.

أنهيت حواري مع أمي بشكلٍ مقتضب وأغلقت سماعة الهاتف ثم صرحت لصورتها المعلقة أمامي وأنا أشفق عليها « اشتقت يا أمي لصرخات رضيعي الذي لم ألده بعد، فلمَن يا أمي ستعطي وصايا الأجداد وإلى متى ستظلين مهرولة معي بين عيادات الأطباء وأضرحة الأولياء الصالحين باكية ممدودة طاولاتك بالنذور والصدقات لا تملّين من رفع يدك بالدعاء لله وتقاسمك أغطية حجراتك صلاة الحاجة أناء الليل وأطراف النهار، ثم تهدت بتأوّه عميق واستكملت مواصلة التمارين النفسية استعدادًا للنزول حتى لا أتحول في لحظة تحت تأثير الشحن العصبي من امرأة لمارد لا أقوى على ترويضه فلا أشرس من جنون امرأة

بطنها خاوية وصدرها لم يحنُ لصراخ وليدها فلا النياشين ولا المناصب ترضي غريزتها أو تشبِع أنوثتها المتعطشة.. الأمومة فقط هي البصمة الوحيدة التي تثبت وجودها على الأرض.

ارتديت كامل أناقتي مستعيرة ابتسامة امرأة غيري، مستيقظة لتوّها من ليلة حب؛ فنحن لا نرتدي حلينا إلا لنتباهى أمام مَن يتباهون امامنا بالسعادة المزيفة بينما لا تفارقنا جميعًا تعاسة موروثة جيل بعد جيل فخلف نمنمات المظاهر البراقة يستتر حزننا الحقيقي.

مضت ثلاث ساعات وأنا أتجول في أنحاء منزل أثث على الطراز الصامت، أهيء نفسي بعناء على تلك المجاملة الإجبارية؛ فدائمًا الأقدار لا تعطينا حق الاختيار حتى ذهلت بزوجي يغير كل خططه ويعتذر عبر الهاتف عن تأخيره ويطلب منّي سرعة التوجه لبيت العائلة بالهدية المنتقاة بعناية وسيلحق هو بي هناك.

خرجت من منزلي برهبة طفلٍ عوقب بالذهاب للامتحان بمفرده وانخرطتُ بسرعة بين ضجيج المارة وكانت كل الطرق تستدرجني لمواجهة موجعة بطيف أحلامي المشروعة. واجهات المحلات التي تعرض ثياب الأطفال، أبواب المدارس، ابتسامة كل طفل خلف زجاج السيارات وفي إشارات المرور، أثداء الأمهات الممتلئة بلبنهن، صيحاتهن المختبئة خلف الجدران منشغلن باللعب، ركضهن في الحدائق. جميعها لقطات منفصلة حيكت بدهاء المؤامرات لتربك هدوئي الكاذب وتضرم النار في أعصابي المفخخة.

صعدت درج البيت العائلي بخطوات تدب تارة بخوف وتوتر وتارة باندفاع وجنون ثم انضممت للموجودين، أصافح الجميع بحرارة، أهنئ وأقبّل الصغار والكبار، أتجاهل حديث الأمهات وأتحاشى النظرات الماكرة للعجائز والشمطاوات ثم أهرب سريعًا من سخافة الأسئلة المغلفة عن سبب تأخُّر الإنجاب ولم يزعجني أكثر من المتطوعات بالنصائح الملغومة بالاستفسارات الخبيثة حول فراش الزوجية وأداء زوجي فربما يكون تحسين الأداء كافيًا لحل المشكلة. في جميع الحالات تهندمت بالردود المختزلة والسطحية وأنا أتكئ على حائط الصبر أمام حسناوات مجتمع فقير جدًا في ثقافته الحميمية غني جدًا في نصائحه الكاذبة حول متعة فطرية توارثنا إعلان تعففنا عنها كغطاء للتحايل عليها والتعامل معها كمنشورات سرية تبتلع بصوت مكتوم في إطار المعاشرة الشرعية من باب فرط الأدب والحياء أو بنهمٍ مبالغ فيه خلف الأزقة المحرَّمة لإشباع غرور الديكة وإثبات فحولتهم المصطنعة. مجتمعات أفنت النساء فيها أعمارهن دون أن يعرفن طعم الارتواء فأصيبن بالقحط أو اليأس بعد فترات الانقطاع الطويل ونظم الري بالتنقيط طِبقًا لموسم هطول رغبات ساقيها وتتحملن وحدهن نتائج الحصاد. نساء تحمل في جيناتهن سوء فهم سريري وتبادل وضع الاستكانة بلامبالاة دب قطبي في موسم البيات الشتوي

فجأة علت صيحات الأطفال في غفلة مني شاهرين شموع السبوع وبدأ صوت المدق النحاسي يرتفع بعنفوان نبراته منبهًا المولود لسماع كلام أحد الأقارب دون الآخر بضحكات عالية حينا وبكيد نسائي حينًا آخر. ترن أصوات الزغاريد وتتساقط مجاملات العملات النقدية بغزارة حاملة

معها حفنات الملح المنثور في عيون الحاسدين. فانسحبت إلى الكراسي الجانبية أتوارى عن الأنظار قبل أن تتبعني كلمات الشفقة المؤلمة أو دعوات المقربين.

أراقب من بعيد الخطوات السبع للأم النافس حول السكين والبخور المحترق فأطئطئ رأسي وأتمنى تبادُل الأدوار رغم فداحة الفارق بين الجائع والشابع. أتمنى أن أختبئ في بالونات الأطفال وحقائبهم الصغيرة، أتقمص بطون الحوامل المنتفخة، أستعير دلالهم في فترات الوحم، أمتلئ مثلهم وزنًا بنمو طفلي وأنشغل بتقسيم دمى معه، أتشقق ألمًا بضرباته المبرحة في أعضائي وأتجرع آلامًا بنكهة السعادة.. أتودد لأحشائي لتعاكس منطق العناد النسائي فتلفظ لي وليدي حيًّا دون الاحتفاظ به ساكنًا فيها للأبد بعدما عانت سنينَ من الخواء، أمارس قرفصاء مخاضه، أرتشف صرخاته بعد ظمأ شهور وأتلهف لاحتضانه قبل حتى أن يغتسل مما علق به من زفرات اعتذار رحمي له جراء طلقات طرده وتهتّك ماؤه، أضمه بقوة رغم عرقي المتصبب وأعضائي المرتخية من مجهودٍ دفعه للحياة فأحيانا تتجاوز حدة الألم حدود النشوة المتطرفة.

فمتى سأخلع عني ثوب الأرض البور؟ متى ستستتر عاهتي الجسدية من غطائها الشفاف المثقوب بالنظرات والغمزات اللاذعة؟ متى سيزدحم حمامي بمغطسهم الصغير بقطع منظفاته الناعمة وتشغَل أحبالي بملابسهم المبللة؟

الكثير من الأفكار المدججة بمزيج من عواطف شرسة دفعت حدة صراعي الذاتي لدرجة الغليان، وقبل أن تفور الحمم المندفعة في مسار

شراييني، اخترقت يد زوجي البقعة الملغومة التي تحاصرني، وربت على كتفي بقوة اللقاء بعد الفراق ثم قبَّل جبهتي باستحياء يرأف بحالي.

استدارت يد زوجي حول خصري ليضمنى إليه ونبادل الجميع جمل التهاني والمجاملات بشكل سريع لا يسمح لأحد أن يورطنا في أحاديث جانبية. وبعدما وزعنا الابتسامات ولوحنا كفوفنا بالسلام كعروسين في المشهد الأخير لحفل زفافهما، غادرنا منزل العائلة متجاهلين كل شعور يستفذنا بعناد لتلك المواقف السلبية للزيارة العائلية. وفي طريق العودة استقلينا سيارة أجرة وتسيد الصمت بيننا طول الطريق بينما أصابعنا متعانقة في حوار شخصي، وما إن وطأت قدمي أعتاب غرفتي حتى انفجر بركاني المكبوت وأخذت أضرب الأرض يمينًا ويسارًا بكفوفي وأقدامي في هيستيريا بكائية صارخة « نفسي اكون أم.. حقي على الدنيا اني اكون أم » وظللت أصرخ وأصرخ و أصرخ أمام ذهول زوجي وقلة حيلته، حتى نفدت طاقتي وبدأت في الترنُّح ثم تهاويت أرضًا بينما أطراف أصابعي الباردة من هروب الدم منها تحتضن أكتافي بعطف.

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

قُبلات ممتدة المفعول

obeikandl.com

لساعات سكن الصمت جواري على فراش نصفه صقيع ونصفه لهفة، وأنا على الحد الفاصل بين الهدوء والجنون، بين برودة الأطراف وحرارة الاشتياق، أتحاشى قطرات الدموع المتساقطة فوقي إثر بكاء الحوائط الأسمنتية لتلك البناية التي شكَّلنا نحن الاثنان أعمدتها الشاهقة. تتسارع الأغطية والوسادات وكافة المفروشات في استضافتي بحميمية بالغة سائلة عنك فتعمدت الكذب على الأشياء حتى لا تدمي من جمر انتظارك مصرِّحة لها بأنك الآن محمولٌ على أكتاف السحب، وما هي إلادقائق بتوقيت غفوة طفل رضيع وستأتي واضعًا مفتاح الحياة في أبواب تعودت الانغلاق خلف رحيلك المتكرر كمحارب عاد من الجبهة على حين غفلة مصادفًا يوم ميلاده ففوجئ بالحياة مخبأة في ردهة صغيرة تضع يدها على الأزرار الكهروبائية تضيئها فور دخوله لتستقبله بعد عمر من الغياب بأحضان طويلة المدى وقبلات ممتدة المفعول.

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

انفعالات متلاحقة

obeikandl.com

اكتئاب غريب يلوّن عالمها، يرسم انحناءات مضطربة ما بين قمم وقيعان معالم وجودها واستشعارها بكل ما هو خارج حدود جسدها، ليبدأ العد التنازلي لتلك الفترة الموجعة التي تلازمها بصفة شهرية، تشعر بالاختناق كأنها تنجذب ببطء لقاع البحر مكبَّلة الأطراف ومعصوبة العينين، لا تتحمل ضغوط الحياة ولا المشاحنات المعتادة، لا تتحمل الأصوات الصاخبة ولا جُمَل المجاملات، تهرب من الزحام والتجمعات وتشعر بميل غريب للوحدة رغم استيائها المستمر منها.

تنسلخ من نفسها رويدًا رويدًا لتجد نفسها امرأة أخرى يسكن الخوف والاضطراب تجاعيد شيخوختها النفسية، تتجاهل مواجهة نظراتها أمام المرآة كي لا ترى دموعها الهاربة من سكنات صدرها باحثة عن دفءٍ يحتويها، دفءٍ يضم كل الصرخات المكبوتة التي لا تجد لها ملاذًا. تعكس المرآة شحوب لونها المصحوب ببعض الانتفاخ و التغيرات. شقوق المرآة تعكس آثار الألم النفسي لأنثى مسجونة بداخل عنق زجاجة وترفض كل حواسها الاستسلام للصمت.

أصبحت كل أعباء الحيات تصيبها بالاحتقان؛ ابتداءً من ضغوط العمل والممارسات اللا إنسانية في الشوارع والمواصلات حتى دوامة واجباتها كزوجة و أم تشبه قطعة الشطرنج التي تحركها رغبات داخلية تحثها على البقاء رغم الكثير من فترات التوتر الجسدي التي تؤرّق صفو حياتها و التي تجعل دائمًا نظرات زوجها تتهمها بتقلُّب المزاج من خلال نظرة مجردة لا تتغلغل لعمق إحساسها في تلك الفترة التي لا يزعجه فيها سوى عدم قدرتها على تلبية رغباته بالشكل الذي يرضيه فيدير ظهره غاضبًا.

كلما اقترب الموعد، كلما ازدادت حدة الانفعالات المتضاربة ما بين الحزن والقلق والرغبة في الصراخ أمام كل الضغوط بأنها بالفعل الآن هشة وأضعف من ريشة في مهبِّ الريح، وما بين احتياجها الشديد لزوجها و حنينها لتسكن دفء ضلوعه قبل أن تنفجر شحناتها المفخخة فتهرب مهرولة لفراشها تنكفئ عليه فتغفو وحيدة بعدما أذابت الحياة حيوية وتواجد علاقتها الزوجية. تحتضن وسادتها بقوة تجعلها جزءًا لا يتجزأ من دائرة صراع داخلي وتظل تحت وطأة هذا الوضع لساعات حتى تشعر بالهدوء والأمان ويستقر نبضها ثم تعود مجددًا لممارسة طقوس حياتها اليومية بل الروتينية التي تعانيها كل أنثى.

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

لَهْفَة

obeikandl.com

في تلك الصباحات الباردة لمدينة أصبحت فارغة إلا من أشواقها إليك، تتمدد الذكريات بامتداد أمواج تستدرج لهفتي إليك لتجذبها مدًّا وجذرًا حيث الحنين يتتبع آثار قدميك على كل بقعة تدب فيها الحياة فرحة بقدومك. اشتقتك وسئمت ذلك التواطؤ القاسي لكل إشراقة ضحى لا تحمل النور لأحياء يكسوها غيابك لأتتسلل لمقهى اعتدت الجلوس عليه أو شارع كان يستحي يوميًّا من ملمس قدميك أو بنيان ازدهرت واجهاته شرفًا لانتسابه إليك أو ذبذبات تلفازية تتسارع لنقل أخبارك المفضلة أو أطباق من الحلوى والمخبوزات آبت أن يلتهمها سواك أو خزانة أغلقت أبوابها على أغطية باغتها الصقيع بفراقك أو لافتات عليها أسماء تشبة صفاتك وتهاتفك عبر إشارات الأقمار الصناعية لتحيا بصوتك.. فلا تضجر سيدي فليست أنفاسنا جميعًا تحت ضوء الشمس حياة.. إنه الموت الذي يحيا فقط برحيلك.

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

الجلَّاد أنثى

obeikandl.com

وقفت "هبة" تتهندم للحظات قصيرة أمام باب خشبي عتيق، أغمضت عينيها، كررت بعجالة ما ستتلفظ به بعد دقائق، بللت شفتيها، استجمعت قواها لتتحكم في المقبض الحديدي المتهالك الذي كاد أن يتحرر من محلة ليصاحب كفها فور أن لمسته.

دلفت حجرة مكتظة بمكاتب خاوية يتسكع الفراغ بين جنباتها ويتراص الكسل فوق مجلدات بدت متذمرة من تراكم الأتربة، نظرات مشتتة معلقة على مشجب علامات الاستفهام وكم من الأسئلة يطارد أجوبة خاوية. استدارت مبتسمة فاصطدم اندهاشها بشهقة قبيلة من النساء علمن مسبقًا من موظفي الشؤون العامة بوصول الزميلة الجديدة حديثة التخرج.

استقبال فاتر دفع تفاؤلها للتقهقر إلى أدنى مستوياته والبقاء كتمثالٍ من البرونز لأحد الآلهة القديمة يمارس وضع اليوجا.

تراصت نسوة خُلِقنَ فقط للتصفيق كالحاشية حول واحدة منهن تتحكم بزمام الأمور وتبسط نفوذ زوجها أثقلن عليها بنظرات ماسحة نافذة وأسئلة تتقاذفها الريبة للتنقيب عن اليد العليا التي قادتها لهذا المكان.

أملت الشمطاء المتصابية بالإرشادات على هبة بلهجة جافة ولغة آمرة ألزمتها الجلوس على مقعد خشبي بالقرب من الباب لحين موعد الانصراف.

أيام متتالية بقى الوضع متجمدًا، مشهد يتكرر، تتجمع يوميًّا نسوة تبدو على ملابسهن التقوى يثرثرن دائمًا بأحاديث دينية ودموع خاشعة إثر سماع الأقراص المدمجة لشباب الدعاة، يجدن التظاهر بالرقي والسماحة، نظام يبدو ظاهريًا عادلًا مريحًا لكنه دورٌ شكلي لطبقة كهنوتية لاتمتزج دماؤها بنسل الرعية، نساء يتجمعن للنميمة والحوارات

الجانبية حول العلاقات والخيانات ويخضن في إيحاءات جنسية يصعب التلفظ بها وتفاهات لاقيمة لها كمضيعة للوقت.

استمرت هبة لشهور من دون عملٍ محدد، دون كلام، دون أصدقاء، تتحمل الانطواء الإجباري والكلمات الجارحة المغلفة وسيلاً من المواقف المحرجة، استأثرت بأكبر كمٍّ من التكيُّف مع الصبر وقبول تحدي حرق الأعصاب. كان التحكم في الصراع الداخلي وصدى الصراخ المكتوم أشبه بجبهة قتال لممارسة حرب ضارية يقودها فريقٌ من اللبؤات ضد يمامة صغيرة مضطهدة تؤدي الدور ذاتة لكل ضحية سبقتها تمنحها الإجازات الرسمية يومًا إضافيا على قيد الحياة، متفادية فيه سموم البشر.

اعتادت فرقه الإجرام النسائية تعذيب الجدد متبعين سياسة سكب اللهب، نصب الأفخاخ، ارتكاب نهج التدمير الداخلي دون ترك أثر ودون الشعور بالذنب كقنابل لا يبطل مفعولها بالتقادم.

فاق الاحتمال حدود النهي ولم تتسم إحداهن بالتعقل رغم بلوغهن سن النضج، فقررت هبة تحت تأثير الصدمة، التقدم بشكوى مكتوبة كآخر حل يسمح لها بمكان أكثر إنسانية. استغلت انشغال الجميع بحفل استقبال مدير جديد سبق صيته قرع طبول موكب استقباله، كتبت الصيغة الملائمة ووضعتها على مكتبه، خرجت للحاق بالمهنئين لتكتشف أن طوق النجاة هو زوج الشمطاء المتصابية، ابتلعت مرارة حلقها بكأس كبير من هستيريا الضحك، هرعت بسحب الشكوى وتمزيقها على هيئة عروس كالتي تحرقها الجدات على البخور خشية الحسد، ألصقتها بباب المكتب الرئيسي من الخارج بجانب طلب الانتقال لمكان آخر وبقلم حبري دوَّنَت (الأرض دائمًا حبلى بالبذور والبطش لايعوق أبدًا نموها).

* * *

obeikandl.com

النداء الأخير لشركة الطيران

obeikandl.com

ما جئت لأودعك لكن لأعاهد وفائي لمذهبك، كنا نسابق الزمن، نمنع تسلل الغياب، نقاوم حواس تأبى الوسطية، كنا نختلس الحب على فراش غيرنا وما بين شهقة تجرفني إليك استدرجتني رائحة امرأة سبقتني لغرفة نومك، جلست على طرف سريرك، تدثرت بأغطيتك أربكتني بترقبها المتعالي بنظراتها المليئة بالتحفز الساكن، اغتالتني بحضورها الصامت، عاقبتنى بحميمية أشيائها المتبعثرة في بيتك، قاومتني بشراسة المحارب على أحقيتها دون غيرها في امتلاك رجولتك دون أن أدرك حقيقة هويتها بين كفتي ميزان تتأرجح فيها بشرعية زوجة مخدوعة أو سرية عشيقة غيورة قاسمتني أنفاسك، رائحة جسدك حقيبة سفرك حتى لكأنها دلتني بنظراتها على مكان مناشفك لتقاسمنا قطرات المطر في حمامك الأخير، لكني تجاهلتها في اللحظات الأخيرة بسطو امرأة لا تعترف بالشراكة وقبَّلتك بشفاهي المحمَّلة بقطع المانجو لنذوب عشقًا فأترك للهفتي مساحات شاسعة أسفل ابتسامتك قبل أن نفترق بين بابين؛ أحدهما مغلقٌ خلفنا على الحُلم والآخر مفتوح بيننا تعلو منه صيحات النداء الأخير لشركة الطيران.

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

المَدَد

obeikandl.com

تماثلت "حفيظة" للشفاء، بدأت الكدمات الزرقاء تقل تدريجيًا من موضع تشابك أوردتها القريبة من سطح الجلد. على وهنٍ، أزالت اللاصقات الطبية البيضاء واستعاضت بالفاكهة عن الحقن المذابة في المحاليل المعلَّقة على القوائم الفضية.. للمرة السابعة لايكتمل حملها، تنفصل المشيمة عن عمدٍ فتجبر طفلها على الاستسلام للموت. تكرار الإجهاض لأنثى تجاوزت الأربعين يعفيها من وصمة عار العقم كالوطن الذي يتباهى بهزائمة تحت مسمى الأداء المشرّف من فرط الخيبة والأوجاع. في عجالة، ارتدت ثيابها الفضفاضة التي تخفي بطنًا شِبه منتفخ لتلحق بميعاد طبيبة النساء للفحص الدوري، أثناء نزولها الدرج كادت أن تسقط من اندفاع أبناء زوجها من زيجته الثانية وبعض النسوة نحو غرفة بائسة معدمة تقطن أسفل سطح الأرض. هرج ومرج، بكاء، نحيب، استغفار، أدعية بالرحمات، تكبيرات، كلمات تشهير جارحة، شماتة بسوء الخاتمة، تهامس، بلبلة كبيرة تلاها صخب امتزجت به ردود أفعال متضاربة. واصلت حفيظة السير في فضول لتكتشف خبر وفاة جارتهم العجوز العاهرة القديمة التي ذاع صيتها في عالم البغاء وعاشت لسنوات وحيدة معزولة تغتالها نظرات النسوة ويزعجها تعقيب الرجال عن حُسن إغوائها المندثر قبل الصراع مع أورام الرحم الخبيثة.

انقبض قلب حفيظة التي باتت تردد طيلة ليلتها الفائتة دعاء النبي زكريا وتطلب من الله البشارة. الجميع تنصَّل من ستر الجثة التي أوشكت على التحلل كما تنصلوا من المغفرة لها. عاشت طريدة محتقرة منبوذة من الصغار والكبار تتلمس العفو والغفران من نسوة يتجمهرن فقط للتنكيل بها، عملت كخادمة، صنعت الخبز والعجائن بأحد المحال

البعيدة التي لايعرف صاحبها سيرتها الذاتية وعندما اشتد المرض لجأت للتسول.

استمرت المشاحنات بين الآراء المتضاربة قرابة الساعة، يتشاحن المتشددين منهم كآلهة إغريقية تتذمر لخلافات شخصية إلى أن استقر رأي السواد الأعظم المتطرف على فكرة التخلي وعدم التلويث بالنجاسات، امتنعوا عن الاقتراب منها وتسارع الكثير بالخروج وتعالت صيحات الاستغفار. بقيت حفيظة وحيدة جالسة على العتبة بجانبها قطة سوداء حزينة تكفل الجوع والجفاف ببروز عظامها، كانت الرفيق الوحيد للمرأة التائبة المريضة.

لم يكن لحفيظة ستار ديني ملحوظ ولم تكن لتتاجر بإيمانها، نهضت مسرعة تمليها قناعة من منا بريء من الذنوب، وكما قال المسيح "مَن منكم بلا خطيئة فليلقها بحجر"، دون تردد أفرغت حقيبتها من القليل من النقود الذي كانت تأويه وبالكاد يكفي ثمن منشطات التبويض التي كانت ستبتاعها كفرصة جديدة للأمومة. هرعت بشراء الكفن لم يساورها شكٌّ أن ستر الموتى أهم كثيرًا من ميلاد نطف جديدة. أغلقت باب الحجرة، أدارت وجهها للجانب الآخر وببسم الله الرحمن الرحيم، تناولت الماء الطاهر والصابون مغمضة العينين ينساب لسانها بالشهادتين والأدعية كي لا تنتهك حرمات الجثة المتهالكة بالغة الشحوب والتى ارتسم الرضا حول هالات عينيها السوداء، بينما بعض النسوة يراقبنها من بعيد يسترقن السمع بريبة تتخللها ثرثرة وهمهمات جانبية.

بعد فترة وجيزة أنهت حفيظة مهمتها الإنسانية والتي كانت تؤديها لأول مرة، لم تستعن بأحد ولم يتطوع أحد لمساعدتها، أتمت التكفين ثم رفعت ذراعيها للسماء وقلبها بالكاد يخفق طالبة من الله المدد والبُشرى.

على محفة خشبية حملها شابان يعملان بمهنة الدفن، خلفهما حفيظة والقطة وطفل صغير لم يتجاوز السابعة من عمره اعتادت المتوفية العطف عليه، يحمل في يده زهرة ذابلة اقتطفها من إحدى الحدائق العامة. وبعد المراسم الجنائزية انحنت حفيظة لنفض الغبار عن ثوبها وهي تتعجل المغادرة فعندما يرتحل الموتى لا يفضلون زيارة الغرباء لاستحياء النظر إلى جثامينهم العارية اسفل ستر قبورهم. تركتها في ضيافة التراب الذي سيكون حتمًا أكثر راحة وعدلًا، فالتراب الذي يجبر جثث الموتى على التحلل حسب قانون معتقداته هو ذاته مَن يسمح للبذور أن تنمو دون سابق إنذار أو عقاب. بالقرب من السور الأسمنتي وبمواجهة البوابة الحديدية للمدافن، استوقفها صبي أعمى برفقة والدته يتكسب من قراءة القرآن عند القبور، صوته عذب ينشد تواشيح في حُبِّ رسول الله، لم يكن بحوزتها سوى عملات معدنية قليلة وضعتها بكف الطفل الصغير فابتسم ومن باب رد المستحقات أذاب الله لسانه بآيات الذكر الحكيم استهلها بسورة آل عمران الاية(٣٨ – ٤١) هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨)فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَن اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (٣٩قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌۖ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (٤٠) قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيٓ آيَةًۖ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أيام إِلَّا

رَمْزًا ۗ وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ(٤١) . كأن الله ختم على قلبه بتلك الآيات لا يكاد ينهيها حتى يبتدئها، تلعثم الصبي وعجز عن تذكر تكملة السورة فأخذ يرددها مرارًا وتكرارًا. انتفضت حفيظة فرحة كالأطفال اعتبرتها البشرى، علامة الله المنتظرة، خرجت تبتاع حلوى كثيرة وبالونات ملونة للصبي وعادت لنفس مكان جلسته لتهديها له فلم تجده، فتشت يمينًا ويسارًا دون جدوى حتى دلتها إحدى النسوة المتشحات بالسواد عن مكان حارس المقابر الذي أقسم لها بعدم وجود صبي بتلك المواصفات، عادت مندهشة تتدلى البالونات والحلوى من كيس شفاف كبير تحكم قبضتها عليه، فكرت بمعاودة البحث فتعثرت بقبرٍ كُتِبَ عليه المغفور له الطفل مصطفى القناوي، وقبل أن تستكمل القراءة استرسل الحارس في الترحم على هذا الصبي الأعمى الذي توفي منذ أكثر من عشر سنوات في حادث سير ومدفون بهذا المكان، تسمرت حفيظة في مكانها مشدوهة تتسع حدقة عينيها لاستيعاب الموقف ولم تتمالك سوى قراءة الفاتحة في صمت.

* * *

تفاعلات قصيرة جدًا

obeikandl.com

obeikandl.com

الانتظار مؤلم والنسيان مؤلم أيضًا لكن معرفة أيهما تفعل هو أسوأ أنواع المعاناة.

باولو كويلو

obeikandl.com

obeikandl.com

مرفق طيه بالخطاب

طفلي العزيز الذي لم يحن موعد قدومه. تحية طيبة وبعد. اشتقت إليك كثيرًا وأقضي الكثير من الليالي في ترتيب ملابسك وألعابك ومداعبة أشيائك الصغيرة المبعثرة في حجرات قلبي. أرجو منك أن لا تغضب، فقد طال انتظارك وطال حنيني إليك وذلك لأني أختار لك بعنايه أبًا يليق ببراءتك ويتحمَّل بحب عبء مسؤوليتك وآسفة لم ألتقِ به حتى الآن فصبرًا جميلًا، مارس اللعب مع إخوتك على أجنحة الملائكة ولا تتشاجروا كعادتكم مع أقرانكم في أروقة الجنة صباحًا، لا تنسَ صغيرى أن تبعث سلامي لجدك، وادع الله معي أن يجمعنا معًا قريبا في بيت أبيكم الغائب. قبلاتي الحارة، إمضاء أمكم المتلهفة لكم بفارغ الصبر.

* * *

التباس

نقطة جوة الضلمة بتحارب ابتسامة أول ريشة نور بعد الفجر بتحاول تمحيها وتمنع بضيها وقوع الحبر على أجنحة الملايكة في لحظة ملتبسة بتصمم فيها الأرض تثبت أنها كروية.

* * *

opeikandl.com

ترانزيت

نقشت اسمي على حقائب سفرة وملأت كل تجاويفها بأشواقي حتى لمحتة يلوح لي على سلم الطائرة فهرعت أجري وأنكفئ بلهفة الطيور المهاجرة فاستنكر خطوط محبرتي ولون أبجدياتى ونهرني منتعلًا غضبه مستكملًا مسيرته لغياب جديد تاركني ركامًا وسط أمتعة ساحات الانتظار.

* * *

obeikandl.com

خماسين

أبحث في عينيك عن بقايا صمودي، ورزاز هيبتي وهدوئي؛ فافترش ما بي أرضًا في محطة قطار لا أنتظر شيئًا سوى بائع جرائد صباحية ألصق قصاص أوراقها على الزجاج المتهالك لغرفتي؛ خشية أن يتسرب الخريف لملمس غطائي فلم تعد كرياتي الحمراء قادرة على تدفئتي.

* * *

obeikandl.com

رذاذ الحُب

فتحت حقيبة يدي أرتب أشيائي المبعثرة وإذ بزجاجة عطرك تنفلت من سدادتها لتنقض على يدي تعانق ملمسي وتقبِّل بين أصابعي بلهفة الاشتياق ونشوة المصادفات المباغتة تغمرني دفئًا وسعادة حولتني لفراشة لم تكف طيلة النهار عن الابتسام والتأرجح بين الأزهار بثرثرة عاشق مجنون لا يعرف من أبجديات اللغة سوى حروف اسمك وماعاداهم زخارف مختزلة لا مكان لها في القواميس العربية.

* * *

obeikandl.com

جوع

في لحظة جنون عشقي وتحت تأثير الجوع العاطفي والاحتياج المرضي الذي لم يعد يستجب لمسكنات الثرثرة الهاتفية أو ضمادات الصور الإلكترونية، استبدلت قلمي ودفتري الصغير بإصبعي الذي أشهرته في الهواء شاهدة بوجودية الله الواحد في السماء والحبيب الواحد على الأرض ورحت أكتب لك برؤوس الأصابع على سطور وهمية في الهواء حتى امتلأ كل الفراغ الساكن بين الذرات وتشبعت الأجواء المحيطة بحروف اسمك وأبجديات رسائلك الصباحية وذبذبات صوتك ثم نفخت فيها.. علَّ السحب تحملها حيث أنت.

* * *

غفوة

إذا قررت أن تنام بمفردك في تلك الغرفة المجاورة فلا تنسَ أن تترك بجوار جسدي قنديلًا من شوقك المؤجَّل، وقميصًا مخضّبًا برائحتك، ووسادة عليها بقايا أنفاسك، واترك الباب مفتوحًا حتى يتسنى لي سماع همساتأاحلامك فأغفو على دفئها كما الأطفال فلم أتعود يومًا على النوم بمفردي وإن شئت أغلق بابك لأهرب إليك ليلًا على أطراف أصابعي وأمتزج بأحلامك بحماقة عاشق لا يملك سوى قلبٍ واحدٍ لجسدين فتوقظك قهقهات طفلة كانت أنا لفظتها أنت للحياة ذات يوم ولم يعد لها انتساب سوى لشريعتك.

* * *

رؤية

وقفت لدقائق أمام خزانة ملابسها تتصفح قائمة هداياه، تتفتش بينهم على رائحته، موضع قبلاته.. تنهدت بتأوّه.. ارتدت أحد الفساتين، وضعت العطور والمساحيق استعدادا لزفاف قريب، فلم تبادلها المرايا سوى النفور؛ حيث لا مكان لعينيه، فتجاهلت دموع الأشياء مازحة رغم مرارة حلقها عساة يراني الآن بقلبه مردّدًا "ما أجملك امرأة بين النساء".

* * *

obeikandl.com

هدية

بعد أشهر من الغياب أتاني في صورة رجل يشبهه حاملًا في إحدى يديه هوية مختومة بشفاه المدن التي اجتازها والأكاذيب السياحية للعواصم الشقراء، وفي اليد الأخرى حقيبة هدايا فارغة؛ فلم أمتلك منه بعد طول اشتياقٍ سوى ثرثرة هاتفية و غبار السفر.

* * *

obeikandl.com

العذراء الباكية

طفلتي الصغيرة التي لم أستقر على تسميتها حتى الآن، عيد حب سعيد أبعثه إليكِ عبر حبل سُرّي يختبئ في رحمي و يختزل أقدارنا معًا. أريد أن أخبرك بأني أقضي ساعات كثيرة كل ليلة في أتخيل براءتك، ملامحك، مشاكستك، بكاءك، أولى خطواتك، منامك، نظرات عتابك، مداعبة إبهامك لوجهي، همساتك في أذني، فأتوضأ بابتسامتك وأدير ظهري لقِبلة انتظارك أستمر في صلاة الحاجة حتى تتورم قدماي ويبتل إسدالي من قطرات لبنٍ تنهمر هاربة من ثديي المنتفخ رغم عذريتي فأتيمَّم ببكاء دميتك الشقراء وأستقر في فراشي حاملة نبضاتك في صدري لعلّي أغفو.

* * *

الليلة

الليلة أنت لي وحدي بقانون الاشتهاء لا بقانون العدالة الليلة، سأسدل لهفتي على عينيك كي لا ترى سواي، الليلة سأتسرب إلى مخدعك وأجبر أحلامك على التقهقر كي لا تنعم في منامك سوى بحضوري الغائب، الليلة فقط سنمتزج سويًّا عبر القارات جسدين على شفا متعة مؤجلَّة وجوع عاطفي أصيب بالتوحد.. الليلة سآتيك بكامل أنوثتي يفوح الحنين من زجاجات عطري دون الحاجة لأوراق هوية أو أختام مرورية تجيز عبور الحدود فقط انتظرني لنمارس فوضوية اللعب بأعواد الثقاب وسكب الأشواق على النيران، أغمض عينيك واترك شرفتك شِبه مفتوحة سآتيك عبر رسائل البحارة فلا تهدر طاقتك متغزلًا بغيري لأنك الليلة ستكون لي أنا وحدي.

* * *

سيد الاشتهاء

كيف أنت ياسلطان قلبي؟ اشتقتك كثيرًا وبعثت بلهفتي إليك مع غيمة مشاكسة ستهطل قبلاتي بغزارة على أعتاب شرفتك بعدما أدرجت معها طلبي بمهاتفتك الليلة في تمام التاسعة وعشرين ابتسامة بتوقيت احتياجي إليك ورغم ضخامة عنادك وقسوة توقعات رجال الأرصاد الجوية، إلا أن حرارة أنفاسك غافلتك وبادرت بالرد والقبول وإيحاء الانتظار يارجل المناورات والمهاترات والمغازلات ياسيد الاشتهاء.

* * *

obeikandl.com

ليس من يكتب بالحبر كمن يكتب بدم القلب

جبران خليل جبران

obeikandl.com

obeikandl.com

النشرة الداخلية

الإهداء..... ٧
لحين إشعار آخر ١١
مراوغة ٢٣
راهبة البلاط الملكي ٢٧
حماقة ٣٣
أنثى رغم أنف اليأس ٣٧
مقاومة ٤٣
الفاعل ضمير مستتر ٤٧
فراش متصدع ٦٧
اعتقال عاطفي ٧١
بالونات بلون الكفن ورتوش قوس قزح ٧٥
قبلات ممتدة المفعول ٨٣
انفعالات متلاحقة ٨٧
لهفة ٩١
الجلاد أنثى ٩٥
النداء الأخير لشركة الطيران ٩٩

obeikandi.com

المدد ١٠٣
تفاعلات قصيرة جدا ١٠٩
مرفق طيه بالخطاب ١١٣
التباس ١١٤
ترانزيت ١١٥
خماسين ١١٦
رذاذ الحب ١١٧
جوع ١١٨
غفوة ١١٩
رؤية ١٢٠
هدية ١٢١
العذراء الباكية ١٢٢
الليلة ١٢٣
سيد الاشتهاء ١٢٤

obeikandi.com

بيانات الكاتبة

الجنسية : مصرية

محل الإقامة : محافظة اللإسكندرية

تاريخ الميلاد : ١٩٨٣/٩/١٢

البريد الإلكتروني :

elamrosynoha٧١٢@gmail.com

noha.elamrosy@yahoo.com

محل الميلاد : بغداد- العراق

للتواصل عبر التواصل الاجتماعي :

https: //www.facebook.com/Microbioligist

المؤهلات العلمية :

-بكالريوس علوم جامعة الإسكندرية/ قسم نبات تخصص ميكروبيولوجي دفعة ٢٠٠٥

- ماجيستير في تخصص الميكروبيولوجي تحت عنوان استخلاص المصادات الحيوية من بعض النباتات ٢٠١٤

obeikandl.com

الأنشطة :

كتابة الشعر والقصص والمقالات.

نشر لي العديد من المقالات والقصص القصيرة جدا بالصحف والمجلات الورقية والإلكترونية المصرية والعربية.

الجوائز التي حصلت عليها :

جائزة مكتبة الإسكندرية في القصة القصيرة في موسمها الثاني ٢٠١٢، عن قصة (بالونات الكفن ورتوش قوس قزح).

جائزة مختبر السرديات في القصة القصيرة جدا لعام ٢٠١٢ باسم الكاتب السكندري الراحل أحمد حميدة تكريما له عن قصة(النداء الأخير لشركة الطيران).

جائزة صلاح هلال الأدبية للمواهب الشابة في القصة لعام ٢٠١٣ عن قصة (لحين إشعار آخر).

جائزة ممؤسسة أخبار اليوم للقصة القصيرة ٢٠١٤ عن قصة (من أجلك أنت).

الإصدارات :

مجموعة قصصية بعنوان (١٠ قصص لكتاب جدد) الصادرة عن دار أخبار اليوم للأعمال الفائزة بالمسابقة لعام ٢٠١٤ تحوى قصتي(من أجلك أنت)

إصدار مجلة مبدعون عدد أغسطس ٢٠١٣ يضم الأعمال الفائزة في مسابقة صلاح هلال الأدبية للقصة القصيرة في العالم العربي يحوى قصتي (لحين إشعار آخر)

obeikandi.com

obeikandl.com

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

Noon_publishing@yahoo.com

ت-٠٢-٣٥٨٦٠٣٧٢ ٠١١-٢٧٧٧٢٠٠٧

obeikandl.com